إطلالة على غرب إفريقيا

إعداد
مسعد حسين محمد
المصري السلفي

تقريظ

الشيخ الدكتور/ تشرنو ابراهيم باه الشيخ الدكتور/ ابراهيم سيسي

إطلالة على
غـرب إفـريقيـا

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الدار العالمية للنشر والتوزيع

إطلالة على غرب أفريقيا

الطبعة الأولى

1442هـ - 2021م

رقم الإيداع

2021/4698م

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-744-359-3

الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إطلالة على غـــرب إفريقيـــا

إعداد
مسعد حسين محمد
المصري السلفي

تقـريـظ

الشيخ الدكتور/ تشرنو إبراهيم باه الشيخ الدكتور/ إبراهيم سيسي

الدار العالمية للنشر والتوزيع

شبكة الألوكة - قسم الكتب

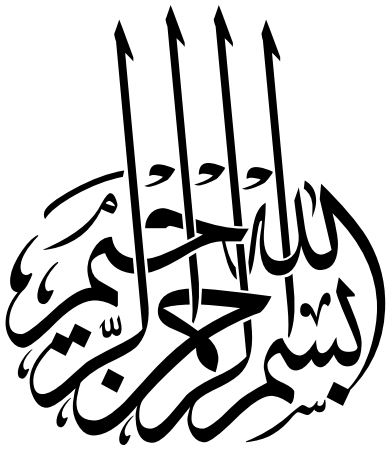
بسم الله الرحمن الرحيم

تقريظ الدكتور/ تشرنو إبراهيم باه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد قرأت مؤلفكم القيم بعنوان: "**إطلالة على غرب إفريقيا**" فوجدته كتاباً قيماً في مجاله، ومرجعاً قوياً مهماً في إبراز تاريخ منطقة غرب إفريقيا، وتقريب المعلومات إلى أذهان طلبة العلم وأهله بأسلوب علمي سلس مناسب للعصر؛ وكما أنه دعوة للباحثين للخوض في بحث وسبر ما خفي من تاريخ هذه المنطقة الغراء.

ومن المعلوم أن غرب إفريقيا منطقة عريقة من مناطق قارة إفريقيا، التي تحتل مكانة مرموقة بين قارات العالم الست أو السبع من حيث عدد السكان، والثروات الطبيعية، ومن حيث القوة الاقتصادية، بالإضافة إلى موقعها الاستراتيجي. فهي ثانية قارات العالم مساحة بعد قارة آسيا، وتزيد مساحتها عن (٢٩.٣) مليون كم مربع. وتشغل ثلث مساحة القارة الصحراء الكبرى التي تقدر بمساحة أوربا. وتنفرد قارة إفريقيا بأكبر قدر من المناطق المدارية مناخاً ونباتاً وحيواناً وثروة معدنية وافرة؛ وذلك في نطاق ينحصر بين المدارين – السرطان والجدي – اللذين يقطعان القارة في الشمال والجنوب. فهي تعادل أربع مرات مساحة الولايات المتحدة الأمريكية.

ويقع غرب إفريقيا ما بين خطي العرض (٤ درجة – ١٤ درجة) شمال خط الاستواء في الجنوب وخط الطول (١٣ درجة – ١٧ درجة) خط غرينتش، وتحده من الشمال الصحراء الكبرى، ومن الشرق جبال الكاميرون وبحيرة تشاد، ومن الجنوب خليج غينيا، ومن الغرب المحيط الأطلسي. وكان يعرف باسم "جنوب الصحراء"، أو "إفريقيا السوداء". وأطلق عليها العرب في القديم بلاد السودان في مقابل بلاد البيضان في شمالي إفريقيا والصحراء.

ولغرب إفريقيا إقليم مناخي واحد متداخل؛ بحيث يغيب وجود أي حاجز طبيعي يفصله عن الصحراء في الشمال، وعن المناطق الاستوائية في الجنوب. فتغطى معظم أراضيها حشائش السافانا الصالحة للزراعة، والغابات المطيرة. وأما تضاريسها فيكاد أن لا يكون هناك فروق باينة فيها، وإن كانت هناك سلاسل جبلية إلا أنها متناثر، وتمثلها مرتفعات فوتا

جالون، وكتابكم هذا واف في بيان وإبراز خصوصيات هذه المنطقة في جميع المجالات الحياتية: الدينية، الثقافية، القوة الاقتصادية، التاريخية، الثروة البشرية، والحيوانية، التي تشكل لبنة علمية أساسية لبحوث علمية تالية، فجزاكم الله خيراً على ما قمتم به وتقومون به من خدمة القارة والعلم والتاريخ. وأرجو الله أن يتقبل منكم، وأن ينفع بما كتبتم، إنه جواد كريم.

أخوكم في الله

الدكتور/ تشرنو إبراهيم باه

الفولاني السيراليوني

٢٠٢٠/٩/٦م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقريظ الدكتور/ إبراهيم سيسي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه:

مياه كثيرة من المسائل والقضايا والتطورات والدراسات عن غرب إفريقيا قديما وحديثا جرت تحت جسر هذا الكتاب الذي يحمل عنوان «**إطلالة على غرب إفريقيا**» لمؤلفه: **مسعد حسين محمد المصري السلفي** (حفظه الله ورعاه) والذي تحدث فيه عن غرب إفريقيا السمراء التي كان الإسلام الدين القيم على حياة جل شعوبها قبل قدوم المستعمر (المستغل المستخرب) ويخلق ظروفا معقدة ويخلط الكثير من الأوراق .

وقد قام بتدمير اقتصادهم ونهب ثرواتهم وفتك استقرارهم الديني والسياسي والأمني ، وحاول طمس معالمهم الدينية وهويتهم الثقافية ودفنها تحت الرمال لمحوها من الوجود .

وقد أفاد المؤلف وأجاد وحلل وعالج المنعرجات والمسالك والمنزلقات، ووضع الاصبع على محل الجرح ورشق عليه حفنات من الملح، وشخص الأمراض وقدم لها الترياق المناسب والمصل الواقي وتحدث المؤلف عن بلاد الشنقيط الموريتانية بوابة غرب إفريقيا من جهة الشمال والتي توغل منها الإشعاع الإسلامي إلى غالب دول غرب إفريقيا ، ودعوة العلماء الأفارقة ودورهم في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، وانهمر حولها مداد كثير .

وتحدث أيضا عن اللغة العربية والاستعراب في غرب إفريقيا ومحاولة المستعمر المستغل إقصاء اللغة العربية (لغة القرآن) وإجهاضها وتدميرها والبناء على أنقاضها لغته الوافدة من وراء حدوده، وسكب المؤلف مدادا كثيرا حولها .

وتحدث أيضا عن العمل الخيري ومعوقاته في غرب إفريقيا .

وتحدث أيضا عن الاستعمار ربيب النصرانية والتنصير وحملاته (عصر النخاسة) في غرب إفريقيا. وسود أوراقا حوله .

وتحدث عن المد الشيعي والقاديانية والطرق الصوفية والمرأة في غرب إفريقيا ، وأسال كما هائلا من مداد قلمه حولها .

الكتاب فيه علم غزير وفوائده علمية باذخة بأسلوب ماتع علمي أدبي شيق يجذب القارىء جذبا، حسن العرض والترتيب، واضح الفكرة.

اطلعت على الكتاب وألقيت نظرة فاحصة عليه فألفيته كتابا رائعا ماتعا في بابه قد سد ثغرات، وردم فجوات، ورأب تصدعات كثيرة. وللم أطراف الموضوع بأحسن ترتيب وتبيين حيث لم يترك شاردة ولا واردة لها علاقة بالموضوع إلا ذكرها.

فهذا الكتاب بشكل إضافة حقيقية ونوعية لمجموعة من الدراسات العلمية الميدانية المتأنية الدقيقة الجادة لإفريقيا الغربية وواقع المسلمين فيها .

فهذا جهد طيب وسعي مشكور كشف فيه المؤلف عن ساق الجد وشمر ، وشد المئزر ونبذ الكسل والملل وراءه ظهريا، وانعكس ذلك على الكتاب حتى ظهر بهذه الصورة القشيبة والحلة الزاهية الجذابة .

جزى الله مؤلف هذا الكتاب خير الجزاء، وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب القيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب.

كتبه

دكتور/ إبراهيم سيسي

دولة غينيا – بيساو

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

أيها القارئ الكريم اعلم حفظني الله وإياك، أن دول غرب إفريقيا مُستودع الكنوز والثروات، ومنبع البطولات ومقر المؤمنين والمؤمنات، دخلها الإسلام في القرن الأول من الهجرة، قبل أن يعرف العالم الغربي والشرقي عن الإسلام شيئًا، فقام الإسلام بدوره الحضاري في تلك الدول، ومع هذا فإن كثير من تلك الدول لا تزال مجهولة لدى كثير من المسلمين، ومجهول ما فيها من كنوز وخيرات وثروات، لأن المحتل الغربي الذي احتل هذه الدول حقبة من الزمن عمل على حجبها عن العالم الآخر، وحال بينها وبين معرفتها على حقيقتها، وحشد فيها جيوشًا جرارة من المنصرين واستخدمهم لإيجاد طوائف نصرانية في تلك الدول التي لم تكن تعرف غير الإسلام، وبقايا من الديانة التقليدية الوثنية التي خلفها الآباء والأجداد، والنصرانية دينٌ طارئٌ على دول غرب إفريقيا ليس له جذور أصيلة في نفوس الناس ولا في قلوبهم.

ومن فضل الله عليَّ ومنه فقد وفقني الله تعالى وعشت في بعض هذه الدول حقبة من الزمن، وما زلت ولله الحمد أتجول في جنباتها أشارك إخواني في العمل الدعوي الخيري في هذه الدول التي حجبها عنا الاحتلال وعمل على تهميشها وإفقارها وتجهيلها وإمراضها، لأن الاحتلال كلهُ شرٌ على البشرية عامة وعلى ديار الإسلام خاصة.

ولله الحمد والمنة بعد أن قمت بكتابة كتاب عن بلاد شنقيط (موريتانيا) ولاقى رواجًا طيبًا، أشار عليَّ بعض إخواني أن أكتب كتابًا عن دول غرب إفريقيا وهي ست عشرة دولة أساهم به في التعريف بهذه الدول. فقمت بفضل الله وحوله بكتابة هذا الكتاب الذي يحمل بين طياته بداية دخول الإسلام إلى هذه الدول، ودوره الحضاري فيها، وجهاد ودعوة العلماء الأفارقة في نشر الإسلام ومحاربة الوثنية، وذكرت فيه معوقات التعليم العربي الإسلامي، ومعوقات الدعوة إلى الله تعالى، وكذلك ذكرت التواجد اليهودي في تلك الدول، وحملات التنصير وكذلك سعى الشيعة على العمل على المد الشيعي، وطرفًا من عبادة الوثنيين التقليديين، وانتشار الطرق الصوفية وقوة نفوذها.

ودور البعثات الإسلامية الوافدة من الدول العربية كالسعودية ومصر وقطر والإمارات، ودور الجمعيات الأهلية العاملة في مجال الدعوة والعمل الخيري. كل هذا بحسب جهدي وضعفي وعجزي وتقصيري، سائلًا الله تعالى أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع، فهو من وراء القصد وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به.

كتبه

مسعد حسين محمد

المصري السلفي

نزيل انواكشط ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تمهيد

تحتل القارة الإفريقية كما يُطلق عليها لقب «القارة السمراء» المرتبة الثانية من حيث كبر مساحتها بعد قارة آسيا، حيث يبلغ مساحتها حوالي اثنين وثلاثين مليون متر مربع وعدد سكانها ما يقرب من تسعمائة واثنتين وعشرين مليون نسمة، وتشمل شمال إفريقيا ، وغرب إفريقيا ، وشرق إفريقيا ، وجنوب إفريقيا ، وإفريقيا الوسطى.

وفي هذا الكتاب نتناول الكلام على غرب إفريقيا . وغرب إفريقيا يضم ست عشرة دولة، وهي: دولة موريتانيا، ودولة السنغال، ودولة غامبيا، ودولة غينيا كوناكري، ودولة غينيا بيساو، ودولة توغو، ودولة بنين، ودولة ساحل العاج، ودولة بوركينا فاسو، ودولة سيراليون، ودولة نيجيريا، ودولة ليبريا، ودولة مالي، ودولة غانا، ودولة الرأس الأخضر، ودولة النيجر، وهذه الدول الست عشرة يحدها من الشرق دولة تُشاد والكاميرون، ومن الغرب والجنوب المحيط الأطلسي، ومن الشمال الجزائر وليبيا، أما عدد سكان غرب إفريقيا فهو يزيد على مائتي مليون وخمسة ملايين نسمة.

الموارد الموجودة بغرب إفريقيا:

غرب إفريقيا غني بكثير من الموارد؛ حيث يعيش غالب سكان غرب إفريقيا على الزراعة، فهم يزرعون الأرز وقصب السكر والذرة والقطن والفاكهة. كذلك يعملون بمهنة الرعي، كرعي الإبل والبقر والغنم؛ وكذلك فيها كثير من الموارد كحرفة الصيد؛ حيث إن المحيط الأطلسي به أنواع عديدة وكثيرة من الأسماك، كذلك استخراج كثير من المعادن، كالفوسفات واليورانيوم، والملح، والنحاس، والحديد، والذهب، والمنجنيز، والماس، والبترول.

والذي يتنافس عليه كثير من دول الغرب.

اللغات واللهجات:

أما اللغات واللهجات التي يتكلم بها سكان غرب إفريقيا ، فهي كثيرة ومتعددة نتيجة صراعات واحتلال الغرب لها سنوات طويلة، فكان له دور كبير في العمل على محو الهوية الإفريقية وبث اللغة الفرنسية والإنجليزية والألمانية والبرتغالية، وذلك من خلال بناء المدارس والجامعات التي تُدرس فيها لغة المحتل، حتى أنني كثيرًا ما كنت أتعجب عندما أتكلم مع أكثرهم فأجده يخلط بين اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية واللهجة المحلية في آن واحد.

فهم يتكلمون اللغة العربية، واللغة الفرنسية، والإنجليزية، والبرتغالية، كذلك توجد كثير من اللغات واللهجات المحلية، والتي أشهرها لهجة الهوسا.

وهي تحتل المركز الأول ويتراوح عدد المتحدثين بها في غرب إفريقيا ما يقرب من مائتي مليون.

الديانات في غرب إفريقيا:

أما الديانات في غرب إفريقيا فقد ازدهرت فيها عبر التاريخ ممالك عديدة وثنية ونصرانية وإسلامية، حتى إلى يومنا هذا ينتشر فيها الإسلام والنصرانية، وقلة من اليهودية، وهناك ديانات تقليدية كعبادة الأصنام والأوثان، وكذلك هناك قطاع كبير من المسلمين من أتباع الطرق الصوفية وتواجد شيعي يختلف من دولة إلى دولة من ناحية العدد.

ويُعد الدين الإسلامي هو الدين الرسمي لغالب دول غرب إفريقيا حيث يُشكل المسلمون قرابة خمسة وخمسين في المائة من السكان. وبقية السكان الغالب منهم يدينون بالنصرانية والوثنية، وقلة من اليهود.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالعقائد الوثنية منتشرة بشكل غير عادي في بعض دول غرب إفريقيا ، وهم في الحقيقية مثل مشركي العرب ويزيدون عليهم، ذلك بأنهم يعتقدون أن أرواح الأسلاف من الآباء والأجداد بعد موت الجسد تحل في بعض الكائنات سواء جسد إنسان آخر أو حجر أو شجر أو حيوان، وتتصل بهم وتراقبهم وتفرح لفرحهم، وتحزن لحزنهم ويقدمون لها القرابين، وهذه العقائد الوثنية مختلفة في مظاهرها، متشابهة أحيانًا في جذورها وأصولها، فهي ترتبط بالطبيعة وأرواح الأجداد، فمنهم من يعبد الأشجار، والتماثيل الخشبية المنحوتة ولقد رأيت الكثير منها وما هو على شكل إنسان، ومنها ما هو على شكل حيوان، وكذلك منهم من يعبد أحجارًا منحوتة على شكل إنسان أو حيوان وفي الحقيقة هذه الأوثان والأصنام تتمثل فيها الشياطين فيظنون أن أرواح الأسلاف حلت فيها حتى أنهم لهم أسواق تباع فيها هذه الآلهةُ المنحوتة.

وهذه القبائل تنتشر فيها الأمية بنسبة عالية، وكان هذا له الأثر البالغ في حملات التنصير، حيث إن كثيرًا من هؤلاء يعتنقون النصرانية بسهولة.

أما بالنسبة للتواجد الكنسي؛ فهناك تواجد للكنيسة من قديم، حيث كانت هناك ممالك نصرانية قديمة، وكان عدد النصارى كثيرًا، ولما دخل الإسلام غرب إفريقيا في بداية القرن الأول الهجري مع طلائع الفتح الإسلامي على يد عقبة ابن نافع وموسى بن نصير وغيرهم من أعلام الإسلام، وكان لدولة المرابطين[1]

(١) اسم دولة المرابطين: أُطلق على مجموعة كبيرة من القبائل التي كانت تسكن بلاد شنقيط، ويرجع نسب هذه القبائل إلى العرب القحطانيين والحميريين، وقد كان لها أثر ملحوظ في تاريخ المغرب الإسلامي ونشر لواء الإسلام في شمال وغرب إفريقيا ، وممن جزم بعروبتها: ابن سلام وابن الكلبي، والزبير بن بكار، والطبري، والهمداني، والجرجاني، والسمعاني، وابن الأثير، والكلبي، وابن الخطيب، والفيروزآبادي، واليعقوبي، وعبد الحق المالكي، وصاحب كتاب عمود النسب. انظر المضرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (ص: ١٢٠) لابن أبي زرع الأنيس، ط دار المنصور.

دور عظيم في انتشار الإسلام السُني، وبدا يتقلص دور الكنيسة، ودخل كثير من النصارى دين الإسلام.

وكذلك دخل كثيرٌ من الوثنيين الإسلام، وبعد قدوم المحتل الأوروبي وسقوط الأندلس وسقوط دولة المرابطين بدأ دور الكنيسة ينمو ويتصاعد، حتى إلى اليوم هناك نشاط غربي واسع لحملات التنصير؛ حيث تم رصد ما يقرب من مليار دولار للقيام بهذا العمل، فهناك ما يقرب من أربعة آلاف مؤسسة تنصيرية تعمل في غرب إفريقيا ، يعمل فيها ما يقرب من مائة واثني عشر ألف منصر من قبل الجماعات والهيئات التنصيرية الكاثوليكية والبروتستانية ينتشر أكثرها في دولة النيجر وسيراليون وغانا وغينيا كوناكري وغينيا بيساو، مستغلين الفقر والجهل والمرض وحاجة الناس. ويتمثل نشاطها في بناء المدارس والجامعات والكنائس، ومراكز اتصال، وخدمات إخبارية وصحف ودور نشر ومطابع، واستديوهات للإنتاج الإذاعي والتليفزيوني، وبناء جمعيات ومستشفيات وهيئات إغاثية.

أما التواجد اليهودي: فهو أيضًا حاضر في غرب إفريقيا ، ولكن ليس بصورة قوية كحضور الإسلام والنصرانية والوثنية. ويكثر تواجدهم في نيجيريا وغانا وسيراليون وهم يزعمون أنهم تم تهجيرهم من فلسطين إلى غرب إفريقيا قبل نحو ألف وخمسمائة عام، ويسمون بجماعة (الإيبو)، وعندهم مدارس يهودية خاصة بهم. وتسعى منظمات وهيئات يهودية على تهجير هؤلاء اليهود إلى إسرائيل.

وفي هذه الآونة الأخيرة، وفي ظل غياب التواجد العربي بدأت إسرائيل بإنشاء عدة مؤسسات استثمارية كبيرة في ساحل العاج، وغانا، والسنغال، وسيراليون، والنيجر.

أما التواجد الشيعي فهو بدأ ظهوره بعد توافد المهاجرين اللبنانيين إلى غرب إفريقيا ، وزاد تواجده بعد الثورة الخومينية، ومن هذا الوقت، وتسعى إيران إلى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعزيز تواجدها الاستراتيجي والاقتصادي والاستثماري وسط تنافس شديد بين دول عربية وإسرائيل على هذه البلاد التي تتمتع بموارد كثيرة مثل الذهب والحديد واليورانيوم والماس والسمك.

ويبلغ عدد الشيعة ما يقرب من سبعة ملايين في غرب إفريقيا ، وحملات التشيع والمؤسسات الشيعية منتشرة وحاضرة، ويتم استمالة الأفارقة إلى التشيع ليس عن قناعة حقيقية بل هو ناتج عن الفقر المدقع والجهل والمرض، وهو الذي يدفع الكثيرين بقبول الانضمام إلى الشيعة.

أما التواجد الصوفي فهو أيضًا متواجد وحاضر بقوة ومتوغل في مؤسسات الدول، وبدأ ظهور الصوفية (التيجانية والقادرية والسنوسية) بعد سقوط دولة المرابطين؛ حيث دخلت عليهم الصوفية من دولة المغرب عبر دولة موريتانيا والعجيب أن مع فساد عقيدتهم إلا أنهم كانوا ومازالوا لهم دور عظيم وكبير في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وبعض الأنشطة الخيرية كبناء المساجد وحفر الآبار.

كذلك الصحوة الإسلامية السلفية لها حضور قوي وفعال في غالب دول غرب إفريقيا ولكنها حقيقة تفتقر إلى الحاضنة الاجتماعية وتكوين جيل دعوي متماسك.

وكذلك جماعة التبليغ والدعوة لهم نشاط واسع في كل ربوع غرب إفريقيا، وهي أيضًا في الحقيقة من أنشط الدعوات في غرب إفريقيا خاصة في عنصر المبادءة والمفاجأة وهناك كثير من المؤسسات والهيئات الدعوية الخيرية الرسمية وغير الرسمية لها دور عظيم وفعال في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام والقيام على بعض الأعمال الخيرية كبناء المساجد والمستشفيات، وحفر الآبار وإقامة الدورات الشرعية والعلمية.

وكذلك بعض المجهودات الفردية المباركة والتي تعمل في حقل الدعوة مع التنسيق مع القائمين بالعمل الدعوي.

وأنا أرى أن هناك مستقبلًا واعدًا لغرب إفريقيا في خدمة الإسلام بإذن الله تعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بوابة غرب إفريقيا

بوابة غرب إفريقيا من جهة الشمال هي بلاد شنقيط[1] وهي دولة موريتانيا وهي أول دول غرب إفريقيا التي تفصل بلاد المغرب العربي – ليبيا وتونس والمغرب والجزائر – عن إفريقيا السوداء وقد عرفت الهجرة إليها حتى قبل الإسلام، وهي بلاد منخفضة كثيرة الهضاب والسهول والكثبان الرملية، وكانت هذه البلاد قبل الإسلام تدينُ بالوثنية، وكانت تابعة لمملكة غانا الوثنية، وكان سكانها الأصليون الأفارقة والبربر[2]، ثم هاجر إليها كثير من العرب من اليمن والجزيرة العربية ومصر والسودان، وحدث بينهما تجانس وتصاهر وشكلوا شعبًا تربطهم فيه وحدة الدم والنسب، وعُرفت هذه البلاد عبر تاريخها الطويل بأسماء كثيرة جدًا، منها: بلاد صنهاجة الجنوب، وصنهاجة الرمال، وبلاد شنقيط، وصحراء الملمثمين[3]، ودولة

(١) **شنقيط**: كلمة بربرية ومعناها: عيون الخيل، أو عيون الجبل وهي تقع في الصحراء جهة الشمال من دولة موريتانيا، وهذا اسم للإقليم الذي عم جميع أقاليم دولة موريتانيا، وهو من باب إطلاق الجزء على الكل ومن باب إطلاق الخاص على العام، ونالت هذه الشهرة بهذا الاسم؛ لأنها كانت مركز البلاد، وقبلة لجميع سكان الإقليم، يجتمعون فيها استعدادًا لرحلاتهم وأسفارهم من بلادهم إلى بلاد المغرب والمشرق .. (تاريخ شنقيط) (ص ٥٢)، محمد الأمين بن عمريبني، وانظر: وقفات على بلاد شنقيط (ص: ٩) للمؤلف.

(٢) **البربر**: هم أبناء حام، كما أن العرب والعجم أبناء سام، والبربر كانوا أمة وكان لهم لغة منفصلة، ولكنهم انصهروا مع العرب وحدث بينهم تجانس وتصاهر، وأصبحوا أفرادًا متناثرة في بلاد شنقيط والمغرب والجزائر وتونس ولم يكن لهم الآن كيان أو تكتل بشري، انظر: وقفات على بلاد شنقيط للمؤلف.

(٣) **الملثمين**: هم القبائل التي كانت تسكن صحراء بلاد شنقيط، وعرفت هذه القبائل بالملثمين، لاتخاذهم اللثام شعارًا يميزهم عن قبائل المنطقة إلى يومنا هذا، فلا يفارقهم اللثام في حال من الأحوال، وقد سميت بلاد شنقيط في زمن من الأزمنة وفي مرحلة من مراحلها التاريخية بدولة الملثمين، وقد اختلف في سبب اختيار اللثام شعارًا لهذه القبائل ... فيرى البعض أن ذلك لأسباب صحية تعود لاتقاء الحر والبرد والغبار، وقيل: أن سبب اللثام هو أن طائفة من القبائل خرجوا مغيرين على عدوهم فجاء العدو بعدهم إلى بيوتهم، وليس فيها إلا المشايخ والصبيان والنساء، فلما تحققوا من العدو أمروا النساء أن يلبسن =

المرابطين، وبلاد لمتونة، وبلاد التكرور، ولعل الاسم الأكثر زيوعًا في بلاد الإسلام والوطن العربي بلاد شنقيط. ووصل الإسلام إلى بلاد شنقيط عبر التجارة في بداية القرن الأول للهجرة النبوية قبل الفتح الإسلامي[1].

وفي بداية القرن الرابع الهجري أخذت بلاد شنقيط شهرة واسعة في الاهتمام بالعلم، حتى أنها أصبحت قبلة طلبة العلم من بلاد غرب إفريقيا ، والسبب في ذيوع العلم وكثرة العلماء في بلاد شنقيط، يرجع إلى اهتمام هذا القطر بالعلم وتعليمه عندما سافر أبو بكر بن عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بلاد الحرمين لأداء فريضة الحج، وأمر على بلاد شنقيط العالم المجاهد يوسف بن تاشفين، وأثناء عودته اصطحب معه من بلاد المغرب كوكبة من العلماء والمشايخ الأجلاء، وهم: الإمام الحضرمي، وعبد الرحمن الركاز، والزيني، والإمام إبراهيم الأموي والذي عُرف بعد ذلك بإبراهيم مجلس العلوم، فكان لتواجد هؤلاء العلماء الأجلاء المجاهدين، وما سبقهم من أسس إسلامية وثقافية وطد أركانها الفقيه المجاهد عبد الله بن ياسين الدور الفعال في انطلاق الإشعاع الإسلامي القائم على أسس المعرفة والتنظير العلمي، مما أشاع ظاهرة التمدرس في مجموعة المحاضر[2]، ودعم ذلك إصلاح آخر أضافه

= ثياب الرجال ويتلثمن حتى لا يُعرفن، ويلبسن السلاح، فلما أشرف العدو وظنهن رجالًا فهابهن، وقبل أن يغادر العدو أقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء، وقتلت هذه القبيلة من عدوهم خلقًا كثيرًا، ومن ذلك الوقت جعلوا اللثام شعارًا يلازمهم إلى اليوم. وقيل: سبب اللثام هو شدة غلبة الحياء عند الرجال، وقيل: إن الملثمين أخذوا عادة اللثام عن زنوج إفريقيا المحاربين الذين استخدموا اللثام والأقنعة لدفع الشر عنهم. انظر: الكامل (٨/ ٧٦) لابن الأثير، وانظر: تاريخ المغرب والأندلس (ص: ٢٦٩) لأحمد مختار الصادي، وانظر: قيام دولة المرابطين (ص: ٥٠) للدكتور حسن أحمد محمود.

(١) وصل الإسلام إلى بلاد المغرب بصفة عامة في القرن الأول للهجرة، وذلك عن طريق الغزوات التي قام بها الفاتحون لمنطقة شمال إفريقيا والأندلس، أمثال: معاوية بن خديج الكندي، وعقبة بن نافع الفهري، وأبي المهاجر دينار، وحسان بن النعمان الغساني، وموسى بن نصير وغيرهم. انظر: فتوح مصر وأخبارها (ص: ١٩٢) لابن عبد الحكم، وانظر: تاريخ المغرب والأندلس لأحمد مختار العبادي.

(٢) **المحاضر**: جمع محضرة، وهي مؤسسات تعليمية إسلامية نشأت في بلاد شنقيط لتكون أداة لنقل المعارف العلمية، وإرساء للدين الإسلامي، وقد ظهرت هذه المحاضر في بداية القرن الرابع الهجري، وكان رباط عبد الله بن ياسين رحمه الله هو النواة الأولى لهذه المؤسسات التعليمية، فقد أسس كثيرًا من المحاضر =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أبو بكر بـن عمر، حيث أشاع فيه ظاهرة التخصص التي فرضها، وهي تقسيم المحلة، وكانت تضم آلاف الخيام، تقسيمهم إلى محاربين، وعلماء ينشغلون بتدريس العلوم الشرعية، وصناع وحرفيين، ومن هنا كان الاهتمام بتعليم العلوم الشرعية بقوة ومتانة ورسوخ، وهكذا تعززت الثقافة العربية والإسلامية في بلاد شنقيط، ونقلها أحفادهم إلى أدغال إفريقيا ، ولقد كان وما زال لعلماء شنقيط ومشايخها في كل العهود القديمة والحديثة دور عظيم في نقل الإشعاع الإسلامي إلى شعوب غرب إفريقيا ويؤكد أغلب المؤرخين أنه بجهودهم بعد توفيق الله تغلغلت العلوم الإسلامية واللغة العربية إلى غالب دول غرب إفريقيا .

حتى كان الأمراء وملوك القرى الأفارقة قديماً وحديثًا الذين يعتنقون الإسلام، يتخذون شيوخًا من الشناقطة يعلمونهم أحكام الدين ويقرئونهم القرآن، ويؤمونهم في الصلاة ويبذلون النصح لهم، وهذه شهادات غير المسلمين بدور الشناقطة في الدعوة إلى الله في غرب إفريقيا .

يقول بيرلابات: إن الشناقطة هم الذين نقلوا المحمدية (الإسلام) إلى الزنوج ولهذا كان لهم نفوذ قوي على هذه الشعوب التي تنظر إليهم كأساتذة مرشدين في كل ما يتصل بالدين وتستشيرهم في غالب شأنهم[1].

ويقول آمادوديا:

لم يدخل الإسلام غرب إفريقيا عن طريق الغزو الإمبريالي عن طريق شواطئ

= وتفرّع من محضرة شنقيط عدد كبير من المحاضر، الشيء الذي جعلها هي العاصمة الثقافية للبلاد، ولهذا فقد غطت شهرتها كثيرًا من المدن العلمية، ولم يُطلق على هذه المؤسسات التعليمية (محضرة) إلا في القرن السادس الهجري. انظر شعراء موريتانيا (ص: ٣٣٦) لمحمد يوسف مقلد.
وقد أطلق اسم المحضرة وسميت بهذا الاسم؛ لأنه مشتق من الحضور لإلقاء المحاضرات. انظر وقفات على بلاد شنقيط (ص: ٢٨) لمسعد حسين محمد.

(١) شنقيط المنارة والرباط (ص: ٢٦٠)، لخليل النحوي، وانظر: وقفات على بلاد شنقيط (ص: ٨٤)، للمؤلف، ط الدار العالمية.

النيل، وإنما عن طريق الصحراء التي اعتبرت فيها بعد (بحرًا لا سبيل لعبوره)[1].

ويقول فرنسيس مورفي: هناك مجموعات على جانبي النهر (نهر السنغال)، ذات بشرة، (تشبه العرب) ومعظمهم يتكلم اللغة العربية؛ لأنهم يتعلمونها في مدارسهم، ولأن القرآن أيضًا وهو شريعتهم، مكتوب بهذه اللغة[2].

ويقول جلبر فييارد: سلسلة الدعاة الأفارقة الذين انتشروا في مالي يدعون إلى الإسلام، تخرجوا من محاضر بلاد شنقيط[3].

ولقد كان لدولة المرابطين دورٌ فعال في انتشار الإسلام وتوغله في غرب إفريقيا حتى استغل الشناقطة الظرف الاستعماري بذكاء وحنكة واستفادوا من وسائل المواصلات الحديثة لنشر الإسلام عبر إفريقيا ، ولقد لاحظ رجال الإدارة الفرنسية هذا النشاط بقلق، فأكدوا أن المشايخ الشناقطة قد أقبلوا على غزو إفريقيا في ظل الاستعمار، وشملت فتوحاتهم هذه السنغال، وغامبيا، وساحل العاج، ومالي مستغلين ظروف الأمن التي حققها الفرنسيون[4].

هكذا استغل الشناقطة ظروف الأمن التي سادت مع هيمنة الاستعمار واستغلال وسائل المواصلات لفتح إفريقيا دينيًا وثقافيًا، فانطلقوا في أرجاء القارة يدعون إلى الإسلام بالقدوة الحسنة والكلمة الطيبة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، فسجلوا في ذلك نجاحًا باهرًا، ضيقوا به الخناق على المستعمر.

ففي سنة ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين لاحظ الحاكم العام لغرب إفريقيا كورناي بقلق أن عدد المسلمين في المنطقة قد تطور بسرعة مذهلة، حيث ارتفع من ثلاثة ملايين وثمانية وخمس وسبعين نسمة سنة ألف وتسعمائة وأربعة وعشرين إلى

(١) المصدر السابق، (ص: ٢٦٠).
(٢) العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، (ص ٣٧١) لأنور الجندي.
(٣) بلاد شنقيط المنارة والرباط، لخليل النحوي، وانظر وقفات على بلاد شنقيط، (ص٨٦) للمؤلف.
(٤) دراسات عن الإسلام في السنغال، (ص: ٤١٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ستة ملايين ومئتين وواحد وأربعين سنة ألف وتسعمائة وست وثلاثين، وتحدث عن انهيار سمعة فرنسا وهيبتها، وقال: إن المستقبل ينذر (يبشر) بانتشار الإسلام في عموم المنطقة[1].

ولقد هاجرت مجموعات شنقيطية واستوطنت في دول غرب إفريقيا ، وانصهرت في المجتمع الأفريقي، وفقدوا دماءهم العربية الخالصة، ولكنهم أعطوا مقابل ذلك الإسلام.

حتى إلى يومنا هذا ما زال الشناقطة لهم دورٌ كبير في الدعوة والتعليم، فلقد شاهدت أثناء رحلتي إلى غرب إفريقيا العبارات والقوارب تنقل الأفارقة عبر نهر السنغال إلى بلاد شنقيط كل يوم من الساعة الثامنة صباحًا إلى الساعة الثامنة مساءً لا تتوقف، وفود وحشود من طلبة العلم يتوافدون على بلاد شنقيط، ولقد دارت كثير من المناقشات بيني وبين هؤلاء الطلبة، فقالوا لي: إن آباءنا وأجدادنا تعلموا في بلاد شنقيط ونحن نسير على دربهم.

ولقد رأيت منهم العجب العجاب، وما يُضرب به المثل في الصبر والمثابرة والجلد وتحمل المشاق من شظف العيش وقلة المال وقساوة المناخ كل ذلك في سبيل الله أولًا، ثم في سبيل الحصول على طلب العلم، فإذا رأيتهم ذكروك والله الأزمنة الغابرة التي عاش فيها خير جيل، ألا وهو جيل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فلقد رأيت أكثر من واحد منهم يلبسون الثياب القديمة الممزقة، وإذا سألت أحدهم سؤالًا وجدت العلم يتفجر من بين جوانبه، فهم يبدأون بتعلم اللغة العربية تعليمًا متقنًا، يعجز صاحب العربية أن يُباريهم في ذلك، ثم يبدأون بعد ذلك بحفظ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ثم حفظ المتون وشروحها في الفقه وفروعه والعقيدة، حتى إن بعضهم يذهب إلى البادية ويقيم في المسجد ولا يرى ضوء الشمس لشهور طويلة،

(١) وقفات على بلاد شنقيط، (ص ١٠٠) للمؤلف.

أو يعيش في الخيام بقرب المسجد، وبعضهم يعمل في الأسبوع يومين أو ثلاثة من أجل الحصول على قليل من المال يتقوت به ويستعين به على طلب العلم كشراء الكتب والمذكرات.

ومنهم من أتى إلى بلاد شنقيط منذ أن كان طفلًا ولم يرجع إلى دياره منذ سنوات بعيدة، ومنهم من يمشي بثياب ممزقة حتى يتسنى له أن يشتري كتابًا، ولقد رأيت بعضهم يترك نصف طعام العشاء حتى يُفطر به، وبعضهم والله قد لا يجد ما يتعشى به ويبيت يتلوى من الجوع، وبعضهم يجمع الملابس من البيوت ويقوم بغسلها ليحصل على قليل من المال، ولقد رأيت العشرين منهم يبيتون في غرفة واحدة، وإذا تحدثت معهم أحسست كأنك بين الأئمة أحمد والشافعي ومالك والأوزاعي، وهذه القائمة البيضاء، وكذلك تجد بينهم من معاني الحب والود والإخاء والتراحم والإيثار ما يدعو إلى التفكر والتأمل.

وهذه بعض المواقف أذكرها لشحذ الهمم ولدفع القلوب والأرواح للاهتمام بهذه المعاني المباركة.

فهذا شاب اسمه محمد من دولة غامبيا عمره تسع عشرة سنة، قلت له يا محمد: منذ متى وأنت في هذه البلاد؟ قال: منذ عشر سنين حين كان عمري تسع سنوات.

فقلت له: كم حصلت من علم؟ قال: حفظت القرآن كاملًا في ثلاث سنوات، وحصلت من العلوم الشرعية كذا وكذا. قلت له: وكيف تتواصل مع والديك؟ قال: أتصل بأمي وأبي كل عام مرة حتى لا تأخذني العاطفة وأفكر في الرجوع، فيكون ذلك عائقًا لي عن طلب العلم.

قلت له: وكيف يصبر والداك؟ قال: لقد دفع بي أبي أنا وأشقائي الثلاثة لطلب العلم هنا وأبقى أخي الأكبر يقوم على رعايته هو وأمي، فوعدته بالزيارة إلى البادية وقمت بزيارته هو وأشقائه فوجدتهم يعيشون في كوخ من الخشب والصفيح على

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قليل من الأثاث البالي، ومع ذلك فهم سُعداء وراضون بحياتهم لما في صدورهم من القرآن والعلم الشرعي.

وهذا شاب من دولة غينيا بيساو، ثيابه ممزقة ولكنها نظيفة. سألته: كم عمرك؟ قال: واحد وعشرون عامًا. قلت له: منذ متى وأنت هنا؟ قال: منذ ست سنوات، قلت له: كم تحفظ من كتاب الله، قال: القرآن كاملًا، قلت له: وكم قرأت ودرست من كتب الفقه والأصول والعقيدة، قال: كذا وكذا، فقلت له: وهل معك إقامة تقيم بها في هذا البلد؟ قال لي: أول ما أتيت استخرجت إقامة لمدة عام، ثم مكثت بدون إقامة طوال هذه الفترة بسبب الفقر وقلة المال، وأنا الآن أعمل لأشتري بعض الكتب لأرجع بها إلى بلدي، ولقد أمسكت بي الشرطة مرات عدة وتأخذني وتُلقي بي على حدود دولة السنغال وتنصرف، فأعود مرة أخرى إلى بلاد شنقيط لأواصل الدراسة، وطلب العلم والتحصيل، وقد فُعل بي ذلك مراتٍ ومرات، وأنا الآن أنوي الذهاب إلى بلدي لدعوة الناس إلى الإسلام وتصحيح معتقداتهم.

وهذا شاب اسمه عثمان سوماربة من دولة غامبيا، سألته كم لك هنا في بلاد شنقيط، قال: منذ ثماني سنوات، قلت له: هل حفظت القرآن؟ قال نعم، قلت له كم حصلت من العلوم الشرعية؟ قال: كذا وكذا.

قلت له: وكيف تتواصل مع والديك؟ قال: والدي توفي منذ سنة، ذهبت وحضرت الجنازة ثم عدت لاستكمال الدراسة، وأتواصل مع أمي من خلال الاتصال، ولي أخ هو يرعاها ويقوم على خدمتها.

قلت له: وكيف تتقوت ومن أين يأتيك المال؟ قال مكثت ست سنوات أطلب العلم أربعة أيام، وأعمل يومين في الأسبوع أستعين بما رزقني الله من مال على أجرة السكن والطعام وشراء الكتب، حتى التحقت بمعهد أنس بن مالك منذ سنتين وأنا الحمد لله، أبيت في سكن المعهد، والمعهد يوفر لنا الطعام والشراب.

وهذا شاب مكث عشرين سنة في بلاد شنقيط وأبواه يُرسلان له الرسائل الخطية فلا ينظر إليها ولا يقرؤها ولا يعرف ما كتب فيها حتى استكمل كثيرًا من العلوم الشرعية من كل فن، وعاد بحمد الله عالمًا عاملًا فقيهًا أديبًا.

ولقد لفت انتباهي خلال هذه الرحلة اهتمام الطلاب الأفارقة باللغة العربية اهتمامًا شديدًا يفوق الاهتمام بدراسة العلوم الشرعية، وينفقون الكثير من الأموال على شراء كتب اللغة والنحو والبلاغة والصرف، والكتابة والإملاء والخطوط العربية.

وقد سألت بعضهم: قال نحن كنا محتلين من المستعمر الفرنسي، وبعضنا كانت بلاده محتلة من المستعمر الأسباني أو الإنجليزي أو البرتغالي. فأصبحت اللغة الرئيسية في بلدنا غير العربية، ونحن لا نفهم القرآن والسُنة ومقاصد الشريعة؛ إلا إذا درسنا اللغة العربية دراسة جيدة ومتينة، حتى يتسنى لنا ونتمكن من دعوة الناس إلى دين الله عَزَّوَجَلَّ دعوة صحيحة وسليمة. ثم ضرب لي مثلًا قائلًا: الشيخ الذي كان يُدرس لنا في بلدنا الدين كان في إحدى محاضراته يُفسر لنا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

قال: لا أدري ولم أفهم من القاتل داود أم جالوت؟ بسبب ضعف اللغة عنده لم يفهم مقصود الآية، فنحن لابد لنا أن نتعلم اللغة العربية جيدًا، وأن نهتم بتعلم البلاغة والنحو والصرف، لأننا بدون معرفة مقاصد اللغة العربية لن نفهم القرآن ومقصود القرآن، ولو أن تعلُّم اللغة العربية أخذ كل أعمارنا ما تركناها حتى نتعلمها جيدًا حتى نفهم ديننا فهمًا صحيحًا وسليمًا.

وما زال للشناقطة دورٌ عظيم في الدعوة إلى الله في غرب إفريقيا إلى اليوم، حتى أنني رأيت أثناء تجولي في المدن والقرى في كثير من دول غرب إفريقيا رأيت التجار وأصحاب المحال والحوانيت الشناقطة يبيعون ويدرسون القرآن واللغة العربية للطلبة أثناء بيعهم وتجارتهم، هكذا ما نزلوا قطرًا إلا كان لهم الأثر الحسن.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بداية دخول الإسلام غرب إفريقيا

استضاءت غرب إفريقيا بنور الإسلام قبل الفتوحات الإسلامية عبر القوافل التجارية، فكان في هذا الوقت الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير، ففي البداية انتقل الإسلام عبر الصحراء مقتفيًا طرق تجارة القوافل التي وجدت قبل دخول الإسلام للمنطقة في الفتوحات الإسلامية.

هكذا نشر التجار العرب الإسلام عبر القوافل التي تربط شرق قارة إفريقيا بغربها وشمالها وجنوبها، دعاة لا تلهيهم تجارة عن الدعوة إلى الله تعالى.

وفي عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتح عمرو بن العاص مصر، والإسكندرية، وبرقة، وطرابلس، وليس بينها وبين إفريقية (تونس) إلا تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل، ولكن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يأذن، حتى إذا آلت الخلافة إلى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عزل عمرو بن العاص عن مصر وولى عليها عبد الله بن أبي السرح وأذن له في فتح إفريقيا ، ففتح قاعدتها قرطاجة سنة سبع وعشرين من الهجرة، وفي سنة خمسين هجرية دخل عقبة بن نافع الفهري إفريقية فاختط مدينة القيروان، وكانت له ولاية ثانية على أفريقية تابع فيها فتوحه حتى وصل شرق موريتانيا (بلاد شنقيط) وهي أول دول غرب إفريقيا من ناحية شمال إفريقيا [1].

وخلفَّ فيها ابنه العاقب، وقد تواترت روايات المؤرخين عن حملة سيّرها عُبيد الله بن الحبحاب والي هشام بن عبد الملك على إفريقيا والمغرب لنشر الإسلام وحفر

(١) انظر: تاريخ الخلفاء (ص: ٦٧)، للسيوطي، ومخطوط الشيخ سيدي محمد الكنتي، الغلاوية مخطوط.

الآبار، وفي سنة مائة وأربع عشرة قاد حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع (أو عبد الرحمن بن حبيب) تلك الحملة التي شقت طريقها إلى تخوم غرب إفريقيا .

ولنا في أوداغست وغانة نموذج للحواضر التي دخلها الإسلام في وقت مبكر ونعمت في ظله برخاء اقتصادي كبير.

قال البكري عن أوداغست[1]: «إنها مدينة كبيرة آهلة، بها جامع ومساجد كثيرة آهلة في جميعها المعلمون للقرآن، وحولها بساتين النخيل ويزرع فيها القمح، والمقاثي تجود عندهم، وعسلها أيضًا كثير يأتيها من بلاد السودان، وسوقها عامرة الدهر كله لا يسمع فيها الرجل كلام جليسه لكثرة جمعه وضوضاء أهله، وتبايعهم بالتبر، وذهب أهل أوداغست أجود ذهب أهل الأرض وأصحّه[2].

ويقول صاحب الروض المعطار إنها» (أكبر البلاد قطرًا وأكثرها خلقًا وأوسعها متجرًا، وإليها يقصد المياسير من جميع البلاد المحيطة بها من سائر بلاد المغرب الأقصى، وأهلها مسلمون، وملكها يخطب لنفسه، لكنه تحت طاعة الخليفة العباسي، والذي يعلمه أهل المغرب الأقصى علمًا يقينيًا أن في قصره لبنة ذهب وزنها ثلاثون رطلًا، نقرة واحدة، خلقها الله تعالى خلقة تامة من غير أن تسبك في النار، وقد ثقب فيها ثقب، وهي مربض لفرس الملك[3].

لقد انساب الإسلام بيسر وسهولة إلى هاتين المدينتين وإلى حواضر أخرى عتيقة، مثل تمبكتو وغيرها من الحواضر الإفريقية التي أدّت في نشر الإسلام وبث العلم أدوارًا مكملة لأدوار القيروان وتونس (الزيتونة) وفاس (القرويين) والقاهرة (الأزهر) وشنقيط – المدينة والبلاد.

(١) أوداغست: مدينة توجد أطلالها في شرق موريتانيا، أما غانة فالراجح أنها عاصمة الدولة – هي كومبي صالح الموجودة أيضًا بشرق موريتانيا.
(٢) المغرب في ذكر إفريقية والمغرب (ص: ١٥٨ – ١٥٩) ، للبكري.
(٣) بلاد شنقيط المنارة والرباط (ص: ٦٧)، للخليل النحوي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعلى ضفاف نهر السنغال وخلفه كان الإسلام ينساب أيضًا بشكل عفوي وتلقائي.

يقول جوزيف كيوك: «إن الإسلام لم ينتشر على ضفاف السنغال بصورة منظمة، أو عن طريق الفتوح، كما حدث في بلاد المغرب، وإنما انتشر عفويًا، كما تنماع قطرة الزيت، لقد سلك الإسلام، بشكل طبيعي هادئ، طرق القوافل وحل معها في محطاتها وفي مراكز التجارة[1].

ويؤكد عدد من المؤرخين والباحثين الأفارقة أن الطابع السلمي والعفوي المميز لانتشار الإسلام في إفريقيا ، يشكل سمة فارقة بين الإسلام وبين الاستعمار الذي يطبع العنف حركته[2].

ويقول آدم عبد الله الألوري: «أما ما يتشدق به النصارى أن الإسلام قد انتشر بالقهر فعليهم أن يفسروا بقاء الوثنيين الذين ظلوا يعيشون جنبًا إلى جنب مع المسلمين تحت كنف الدولة الإسلامية في كل قطر من الأقطار التي حكمت تلك الدول منذ قرون ... ومع ذلك بقي فيها الوثنيون إلى يومنا هذا مع تعاقب الدول والحكومات الإسلامية فيها منذ خمسة قرون في بعض الجهات نحو كانووكنشه أو نحو سبعة قرون في الجهات الأخرى كبرونو ونحوها ...[3]، والحق أن هذا الطابع السلمي – والإسلام دين السلام – لا يلغي فريضة الجهاد التي شرعها الله لرد العدوان والظلم: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٤)، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩)، ولدرء الفتن وإعلاء كلمة الله وإقامة الدولة الراشدة التي تصون حقوق الذميين (غير المسلمين) وتكفل حريتهم كما تصون حقوق المسلمين.

(١) شنقيط المنارة والرباط، (ص: ٦٧) للخليل النحوي.
(٢) إفريقيا المسلمة، (ص: ١٤).
(٣) المصدر السابق.

لقد انتشر الإسلام – وهو دين الفطرة – بشكل شبه عفوي، وكان المسلمون، أيًا كانوا، وحيثما حلّوا دعاة إلى الله، خير سلاحهم القدوة الطيبة، والأسوة الحسنة، ينشرون الإسلام فرادى وجماعات عزلًا غير مُسلحين، هكذا استمر الإسلام في الانتشار على الرغم من جهود التنصير ودعم الاستعمارية له، حتى إن كثيرًا من الدول في غرب إفريقيا تعد الإسلام الدين الرسمي لها، مثل موريتانيا، والسنغال، وغامبيا، ومالي، والنيجر، وعدد المسلمين في باقي دول غرب إفريقيا يقدر بحوالي اثنين وخمسين بالمائة، ولله الحمد والمنة، وكل يوم في ازدياد بفضل الله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دعوة العلماء الأفارقة في غرب إفريقيا

لقد كان للممالك والعواصم والمراكز العلمية التي ذاع صيتها في غرب إفريقيا، مثل: تمبكتو وجنى وأغاديس وكتووكشنا، الفضل العظيم في نشر الإسلام، ولقد وصلت الدعوة الإسلامية إلى ذروة ازدهارها في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، وذلك في عهد إمبراطورية سنغي الإسلامية والتي اشتهرت بكثرة علمائها والذي ساهم مساهمة كبيرة في نشر الإسلام في غرب إفريقيا ، ولقد حفلت مدينة تمبكتو – العاصمة الثقافية لإمبراطورية سنغي[1] – بالعديد من مشاهير العلماء الذين ألفوا مؤلفات في شتى العلوم الدينية واللغوية والتاريخية.

ومن أشهر علمائها: الشيخ أحمد بابا التمبكتي، لم يحظ عالم في تمبكتو بمثل سعة علمه وشهرته، وكان عالمًا موسوعيًا ومؤرخًا عالمًا بالشريعة، ومن المتبحرين في اللغة العربية وآدابها، يذكر مترجموه أنه ألف ما يزيد على أربعين كتابًا. وقد درس في دولة سنغي وخارجها، وذلك في مدينة مراكش المغربية لما نُفي إليها، وحضر دروسه مئات من طلاب العلم في مراكش وخارجها[2].

ومن العلماء الذين أسهموا في نشر الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا المؤرخ المشهور الشيخ محمود بن كعت الكرمني، وكذلك الشيخ عبد الرحمن ابن عبد الله السعدي الذي امتدت دعوته حتى دولة النيجر، وكذلك من الذين أسهموا في النهضة العلمية في النيجر الشيخ عبد الكريم المعيلي، وقد افتتح فيها

(١) سنغي: هي مدينة تمبكتو المالية.
(٢) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور للولاتي (ص ٣١)، بتصرف.

مدرسة قرآنية للصغار ومدرسة قرآنية للكبار سنة ألف وأربعمائة وتسع وسبعين ميلادية، ومن العلماء الذين أسهموا إسهامًا فعالًا في نشر الإسلام الشيخ شمس الدين النجيب، قال أحمد بابا التمبكتي: كان معه فقه وصلاح، شرح مختصر خليل بشرحين: كبير في أربعة أسفار، وصغير في سفرين، ومن العلماء الأفارقة الذين لهم إسهامات في الدعوة في غرب إفريقيا الشيخ أحمد لبو الماسي مؤسس الدولة الإسلامية في مالي، لقد كان له جهود في نشر المدارس القرآنية في مالي وما يجاورها من دول حيث جعل القرآن الكريم واجبًا إلزاميًا على كل طفل بلغ السابعة من عمره، وقد ارتفعت نسبة الحفاظ وعلماء الفقه واللغة العربية وآدابها بين مختلف طبقات المجتمع. ومنهم الشيخ عبد القادر كن مؤسس الدولة الإمامية في حوض السنغال سنة ألف وسبعمائة وثمان وعشرين ميلادية، كان له دورٌ كبير في إنعاش الدعوة الإسلامية، وكان أول عمل له، أن أقدم على بناء أربعين مسجدًا جامعًا في طول البلاد وعرضها، وعين في كل مسجد إمامًا راتبًا، ويتولى القضاء في الوقت نفسه، وفي كل مسجد حلقات لدراسة القرآن الكريم[1].

ومن السلاطين الذين قاموا بنشر الإسلام في شمال جمهورية غانا في القرن التاسع الميلادي: السلطان محمد باباتو الذي ولد في دولة النيجر، ثم هاجر بعد دراسته إلى شمال غانا للتجارة، وكانت هناك جماعات من قبيلته (زبرما) قد هاجرت قبله إلى تلك المنطقة للغرض نفسه، وقد تمكنت هذه الجماعة في فرض سيطرتها ونفوذها على المنطقة بالدعوة والجهاد، وقد شهدت دولة غانا في عهد محمد باباتو تشييد المساجد والمدارس الإسلامية، واستقدام الفقهاء والعلماء من شمال نيجيريا ومالي فأسهموا في نشر الإسلام في شمال غانا، ومنها انتشرت إلى بعض الدول المجاورة مثل شمال دولة توغو ودولة بوركينا فاسو[2].

(١) الثقافة العربية والإسلامية في الغرب الأفريقي (ص: ١٣٩)، لعمر بام.
(٢) جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي (ص: ٣٦)، لعثمان برمباري.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن العلماء الأفارقة الذين كانت لهم إسهامات فعالة في الثقافة الإسلامية العربية في غرب إفريقيا ؛ الشيخ محمود بن عمرباه مؤسس المدارس النظامية في غرب إفريقيا ، وبخاصة مدارس الفلاح، وقد ولد الشيخ محمودباه في بلدة اسمها جوول في جنوب دولة موريتانيا سنة ألف وتسعمائة وست ميلادية، وبعد حفظه لكتاب الله تعالى لازم الشيخ عبد الرحمن التركيزي، وأخذ عنه علوم التجويد والقراءات وعلوم القرآن.

وفي عام ألف وتسعمائة وثمانية وعشرين غادر منطقته بقصد الحج، ولما وصل إلى الحجاز التحق بمدرسة الفلاح حتى حصل على الشهادة الابتدائية، ثم التحق بمدرسة الصولتية، وكان إلى جانب دراسته في المدرسة المذكورة يلازم دروس الحرم النبوي، وبعد أربع سنوات تخرج من المدرسة الصولتية سنة ألف وتسعمائة وأربعين ميلادية، وما إن تخرج حتى عاد إلى بلاد فوتاتورو وكان أول عمل قام به بعد رجوعه هو افتتاح مدرسة نظامية في قريته باسم مدرسة الفلاح سنة ألف وتسعمائة وواحد وأربعين ميلادية، ثم افتتح المدرسة الثانية في مدينة كاي بجمهورية مالي سنة ألف وتسعمائة واثنتين وأربعين ميلادية باسم مدرسة الفلاح، وقد قام الشيخ محمود باه بزيارات متعددة لمختلف مناطق غرب إفريقيا يلقي المحاضرات ويفتتح المدارس، وقد افتتح ما يقرب من سبع وسبعين مدرسة عربية في غرب إفريقيا ، وبنى تسعة وثمانين مسجدًا كذلك[1].

ومن العلماء المساهمين في نشر الإسلام الشيخ موسى كمرا، وهو من علماء حوض السنغال، فقد ألف الشيخ موسى كمرا في معظم العلوم والفنون المتعارف عليها في الغرب الإفريقي، ومن أشهر مؤلفاته: (زهور البساتين في تاريخ السودانيين)، وكتاب (أشهى العلوم وأطيب الخبر في سيرة الحاج عمر)، وهو مطبوع في المغرب سنة ألفين وواحد ميلادية، ومنهم: الشيخ الحاج محمد مرحبا

(١) الثقافة العربية والإسلامية في الغرب الأفريقي، (ص: ٥٠٥) لعمر باه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عالم دولة بوركينا فاسو في زمانه وكاتبها المشهور، فقد تعلم القرآن الكريم والعلوم الإسلامية على يدي والده، ثم تنقل لطلب العلم من بلدٍ إلى بلدٍ آخر، وارتحل إلى غانا حيث عاش هناك عدة سنوات، واشتغل بالتأليف والتدريس، ثم سافر إلى دولة النيجر، وقد ألف الشيخ في عدة فنون: منها التاريخ والنحو والصرف والتفسير والأدب[1]. ومنهم الشيخ آدم الإلوري الذي يُعد بحق من أكثر الأفارقة إسهامًا في الثقافة العربية الإسلامية، لكثرة مؤلفاته وشهرتها، والذي تفرغ للتدريس والدعوة والتأليف حتى تخرج على يديه أكثر من عشرة آلاف طالب، كذلك الشيخ عمر توري المؤسس لمدارس الفلاح الإسلامية بدولة مالي، فقد درس على أبيه القرآن الكريم، ودرس وطلب العلم على يد علماء بلاده، وقد قام بتأليف عدة مؤلفات من أشهرها على المستوى العالمي.

كتاب المبادئ الصرفية، وكتاب الدروس النحوية. هكذا كان للعلماء الأفارقة دورٌ كبير في نشر الإسلام والدعوة إلى الله تعالى.

(١) قبائل الفلان (دراسة وثائقية)، (ص: ١٠١) للهادي المبروك الدالي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صور من الجهاد في غرب إفريقيا

وصل الإسلام إلى بلاد المغرب والأندلس وشمال وغرب إفريقيا في القرن الأول للهجرة، عن طريق الغزوات التي قام بها الفاتحون أمثال: معاوية بن خديج الكندي، وعقبة بن نافع الفهري، وأبي المهاجر دينار، وحسان بن النعمان الغساني، وموسى بن نصير، ثم توطدت دعائم الإسلام في القرن الثاني من الهجرة على يد عبد الله بن الحباب عندما كان واليًا على إفريقية حتى ظهر في العقد الثالث الهجري إقبالٌ متزايدٌ على الإسلام، وبعد حين من الزمن، دبت عوامل الفرقة والتشرزم، وافترق الناس شيعًا ما يقرب من مائة وعشرين سنة حتى أتى بعد ذلك رجل من أهل الدين والصلاح وهو أبو عبد الله بن تيفاوت اجتمع الناس عليه، فوحد القبائل في بلاد شنقيط على مواصلة الجهاد ضد الوثنية، حتى نال الشهادة وهو يطارد الوثنيين في إحدى غزواته ضد الزنوج الوثنيين في الممالك المجاورة لبلاد شنقيط.

وبعد استشهاد أبي عبد الله بن تيفاوت، تولى الحكم بعده يحيى بن إبراهيم الجدالي، الذي اصطحب معه من المغرب الأقصى عند رجوعه من أداء فريضة الحج عبد الله بن ياسين ليعلم الناس دين الله عَزَّوَجَلَّ.

ولم يكن عبد الله بن ياسين فقيهًا يُفتي الناس، ويفسر القرآن ويروي الأحاديث فحسب، بل كان رجلًا نافذ البصيرة بعيد النظر، ذكيًا خبيرًا بالمجتمع الذي يعيش فيه، وله قدرة خارقة على التأثير في النفوس، قام يحيى بن إبراهيم بعمل رباط لعبد الله بن ياسين في جزيرة قرب نهر السنغال، وقيل: على شاطئ المحيط الأطلسي، ليتيح له لونًا من الحماية من المشاغبين، وحتى يتمكن من تعليم الناس دين الله عَزَّوَجَلَّ فتدفقت عليه أعداد كثيرة، حتى أصبح هذا الرباط بمثابة شعلة تسرب نورها في

ظلمة الصحراء، وأصبح للمرابطين مركزٌ قويٌّ للدعوة الإسلامية هابه الأعداء، فلما بلغ عدد المرابطين ألف رجل من أشراف الملثمين. قام فيهم عبد الله بن ياسين خطيبًا فوعظهم ودعاهم إلى الجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، واستطاع بإذن الله وعونه تحويلهم من رعاة للإبل والبقر والغنم، إلى طبقة من المجاهدين في سبيل الله.

وعندما تأكد عبد الله بن ياسين من وحدة الجماعة قال لهم: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ (التوبة: ٤١).

وبدأ جهاد عبد الله بن ياسين ورفاقه بقبيلة جدالة فقاتلهم قتالًا شديدًا، قتل منهم ستة آلاف رجل وأسلم باقيهم إسلامًا جديدًا، وكان ذلك سنة أربعمائة وأربع وثلاثين هجرية[١] ثم سار إلى لمتونة[٢] وأطبق عليها حتى أذعنت لطاعته وبايعته على الكتاب والسنة، ثم سار بعد ذلك لقتال مسوفة[٣] فحذوا في الطاعة والبيعة حذو لمتونة[٤] وجنى عبد الله بن ياسين من غزواته هذه الأموال والخيل والسلاح، واشتد بأسه، واشتهر في جنبات الصحراء، ثم قام عبد الله بن ياسين بتنظيم مجتمعه، وتأليف قلوبهم، ثم قام بجهاد العدو الأكبر وهي مملكة غانة الوثنية والتي كانت تسيطر على مدينة أوداغست[٥] الاستراتيجية التي تتحكم في أهم الطرق التجارية، فقام المرابطون الشناقطة بحملة عسكرية ودارت بينهم معركة حامية الوطيس وهي من أهم وأصعب المعارك التي خاضها المرابطون وحققوا من خلالها نصرًا عظيمًا[٦].

(١) انظر البكري [ص: ١٦٧].
(٢) لمتونة: قبيلة من القبائل.
(٣) قبيلة من القبائل.
(٤) انظر ابن خلدون [ص: ٢١٦].
(٥) أوداغست: شرق بلاد شنقيط.
(٦) المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب [ص: ١٦٨].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبعد هذا النصر كان للشناقطة المرابطين صدى قويٌّ أثر في أنحاء المغرب، على إثْر ذلك تدفق المرابطون من الصحراء في العشرين من صفر سنة أربعمائة وسبع وأربعين في أعداد ضخمة واتجهوا إلى درعة واشتبك الجيشان في معركة هزم فيها العدو هزيمة شنيعة.

عاد عبد الله بن ياسين إلى الصحراء بعد هذا النصر المؤزر، كانت الخطوة التالية هي غزو بلاد السوس[1].

توجه الشناقطة نحو بلاد السوس بنحو خمسين ألف راكب وراجل[2] اجتاحوا مدن السوس وسيطروا عليها وقتلوا منهم أعدادًا كبيرة، وحملوهم على أن يسلموا إسلامًا قويًا وكانت هذه المعركة من أعظم أسباب القضاء على الشيعة والقضاء على بقايا اليهود، وبعد هذا النصر سار المرابطون إلى مدينة أغمات وضربوا حولها حصارًا شديدًا، وسيطروا عليها وطهروها من براثن الشرك والانحلال.

بعد أن تولى يوسف بن تشفين إمارة المرابطين الشناقطة، بدأ استعداداته العسكرية لجهاد بلاد المغرب، فاتجه بجيشه إلى فتح مدينة فاس، ودارت بينهم معارك عظيمة حتى خضعت له، ونزل بجيشه بالبلاد المحيطة بنحو مائة ألف جندي وقاتلهم قتالًا شديدًا لمدة سبعة أيام، حتى دخلت هذه البلاد عنوة بالسيف دون قيد أو شرط وتابع يوسف بن تشفين فتوحاته حتى وصل إلى مدينة تلمسان.

فأرسل يوسف بن تشفين كتابًا إلى أمير تلمسان بالعفو إذا دخل في طاعة المرابطين دون قتال، فاستجاب أمير تلمسان للأمر وخرج لاستقبال جيش المرابطين، ولم يكتف الشناقطة بهذا النصر، بل توجهوا إلى مدينة طنجة بجيش كبير يتألف من اثنى عشر ألف فارس من المرابطين وعشرين ألفًا من سائر قبائل المغرب وهزم

(١) الحلل الوشية [ص: ٢٢].
(٢) ابن الأثير [٨/ ٣٢٩].

الشناقطة جيش طنجة، واستولوا عليها، ثم توجهوا إلى مدينة سبتة فحاصروها برًا وبحرًا ودارت معركة شديدة، انتصر فيها المرابطون الشناقطة، وقصدوا بعد ذلك الأندلس. هكذا قامت الدولة المرابطية الكبرى، وأقامتها عبقرية رجال عظام أنجبتهم الصحراء الشنقيطية مثل: يحيى بن إبراهيم الجدالي، وعبد الله بن ياسين، ويحيى بن عمر، وأبي بكر بن عمر، ويوسف بن تشفين الذين حوّلوها إلى ملك ضخم في بلاد المغرب والأندلس[1] حتى كانت دولة المرابطين من أعظم أسباب عدم سقوط الأندلس أربعة قرون.

وظل جهاد الشناقطة، حتى أصبح لهم دولة عظيمة كانت تهدف إلى نشر العقيدة الصحيحة، ونصرة دين الإسلام وإعلاء كلمته وتطبيق الشريعة الإسلامية حتى عم عدلها أرجاء الدولة المترامية الأطراف. حتى جاء المحتل الغربي بعد سقوط الأندلس، وعمل على القضاء على التواجد الإسلامي العربي في الأندلس، فدارت نزاعات ومعارك عديدة بين المحتل الغربي والشناقطة، وقاوم وجاهد الشناقطة المحتل بالسلاح، وقاومه أيضًا وجاهده بالثقافة الإسلامية العربية، وقاوم وجاهد المحتل أيضًا سياسيًا حتى رحل عن بلاد وديار الإسلام.

وإليك أخي الكريم صورًا من جهاد المحتل الغربي بالسلاح والثقافة والسياسة ووقوفهم في وجه الغزاة، وبهذا السلاح مات عدد كبير من الفرنسيين وهلكت مواشيهم، وهب المواطنون في جميع البلاد شمالًا وجنوبًا شرقًا وغربًا لمواجهة الاستعمار، ولم تكن البنادق البسيطة التي يركبها الصناع المحليون مؤهلة لمواجهة المدفعية الفرنسية والعتاد الحربي المتطور، ومع ذلك، فقد استخدم المجاهدون أسلحتهم البسيطة وسطروا بها أروع الملاحم ضد الغازي الفرنسي، ومنيت القوات الفرنسية بهزائم كثيرة، وباع المجاهدون الشناقطة أنفسهم لله عَزَّوَجَلَّ غير هيابين ولا متقاعسين.

(١) دعوة المرابطين في صحراء شنقيط لمحمد محمود ولد محمد الأمين [ص: ٢٢٩].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول الجنرال غورو: ليس باستطاعة من لم ير الشناقطة أن يدرك مدى بسالتهم .. إنهم لا يلبسون إلا ثوبًا فضفاضًا خفيفًا يحسرونه عن سيقانهم في حالة الحرب، ولا يملكون من السلاح إلا بنادقهم العتيقة ورصاصها والخناجر .. تراهم بشعورهم الطويلة وعيونهم البراقة يقفزون من صخرة إلى صخرة، يختفون خلف أبسط حاجز، يطلقون الرصاص، يغيرون مواقعهم، تمامًا كما تفعل الوحوش[1].

مقاومة وجهاد المحتل الفرنسي ثقافيا:

لقد قام المحتل الفرنسي بفرض حصار ثقافي على بلاد شنقيط، وذلك بزرع المدارس الفرنسية ووضعها في مواجهة حادة مع المحضرة.. وقد صممت خريطة البلاد ونظمت إدارتها على نحو يكفل تحقيق ما يرمي إليه الحصار الثقافي من عزل بلاد شنقيط عن محيطها العربي الإسلامي، فقد شذبت أطراف بلاد شنقيط كما تصورها المحتل الفرنسي في خريطته الأولى، وحولت مسالك التجارة من الشمال إلى الجنوب، وحشرت بلاد شنقيط في منطقة إفريقيا الغربية الفرنسية، واتخذت مدينة من مدن دولة السنغال عاصمة لهذه البلاد.

يقول لكرتوا: إن السلطة الاستعمارية «زجت بموريتانيا» في إفريقيا الغربية الفرنسية واتخذت مدينة سان لويس (وهي الآن مدينة اندار السنغالية) مقرًا لحكومتها، وبذلك فرضت على هذا الشعب الانبتات من جذوره»[2].

وقد امتد الحصار إلى مراقبة المشايخ والدعاة والحجاج في حِلهم وترحالهم، ومنع تداول الصحف العربية الصادرة في بلاد لا تخضع للرقابة الفرنسية، وكان هذا الحظر عامًا في منطقة إفريقيا الغربية الفرنسية آنذاك،

وبدأ المحتل يفرض لغته وثقافته في بلاد شنقيط بإنشاء المدارس الفرنسية وانتشار

(١) بلاد شنقيط المنارة والرباط [ص ٢٣٧، ٢٣٨] لخليل النحوي.
(٢) المصدر السابق [ص: ٣٣٩].

حملات التنصير، فلم تجد نفعًا، فمارس على الشناقطة لغة العصا الغليظة، كذلك لم تجد نفعًا فأدرك المحتل الفرنسي خطأ حساباته، واكتشف أن المجتمع الشنقيطي لم يصبح ثمرة يانعة لمن أراد اقتطافها، بعد أن رأى من المجتمع الشنقيطي مقابلة المخططات الفرنسية التنصيرية، بالتحفظ والتحدي والصبر والجلد والمحافظة على تعاليم وشعائر الإسلام، والعمل الدؤوب على نشر الإسلام، حتى لم تقف مواجهة الإسلام للنصرانية عند هذا الحد، بل إن الشناقطة مضوا بعد ذلك فاستغلوا بذكاء وجرأة وإقدام «وحدة الأراضي الفرنسية» وظروف «الأمن التي سادت مع هيمنة الاستعمار ووسائل المواصلات السريعة «وعلمانية» الدولة الفرنسية لفتح إفريقيا دينيًا وثقافيًا، فانطلقوا في أرجاء القارة يدعون إلى الإسلام بالقدوة الحسنة والكلمة الطيبة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، فسجلوا في ذلك نجاحًا باهرًا، ضيقوا به الخناق على المستعمر[1].

ففي سنة ألف وتسعمائة وأربع وأربعين لاحظ الحاكم العام لغرب إفريقيا كورناي بقلق أن عدد المسلمين في المنطقة قد تطور بسرعة مذهلة، حيث ارتفع من ٣,٨٧٥,٠٠٠ نسمة سنة ألف وتسعمائة وأربع وعشرين إلى ٦,٢٤١,٠٠٠ سنة ألف وتسعمائة وست وثلاثين، وتحدث عن انهيار سمعة فرنسا وهيبتها، وقال: إن المستقبل ينذر [يبشر] بانتشار الإسلام في عموم المنطقة[2].

لقد انبهر المحتل الفرنسي بحصانة المجتمع الشنقيطي الدينية، وحضارته العلمية وصلابته الثقافية.

كتب الحاكم الفرنسي العام لغرب إفريقيا ، في تقرير إلى وزير المستعمرات، يبرز الخصوصية الثقافية للشناقطة: «وجدنا شعبًا له ماض من الأمجاد والفتوح، لم يغب

(١) الوثائق الوطنية بنواكشط – ٨/ ٤١.
(٢) بلاد شنقيط المنارة والرباط [ص: ٣٤٢] الخليل النحوي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن ذاكرته بعد ومؤسسات اجتماعية لا نستطيع أن نتجاهلها، إن علاقات تضامن وثيق تسود بينهم رغم بداوتهم وتمزقهم، ومن الخطأ أن نقارنهم بالشعوب السوداء ذات التقاليد الأضعف، والشعور الوطني الخافت.

ومن العجيب أننا وجدنا لدى الشناقطة ثقافة رفيعة أكثر تطورًا من الثقافة التي لاحظناها لدى مثقفي إفريقيا الشمالية.

إن نفوذ بعضهم يمتد من غامبيا الانجليزية إلى مناطق المغرب الأقصى، وإن أحياءهم حرم آمن لا يستباح، يلجأ إليه المغلوبون فيأمنون، فكان لابد من اتخاذ الحيطة والحذر إزاء شعب هذا شأنه، وإعداد العدة الكافية لاكتساح قلاعه الدينية والثقافية، وتطويع مؤسساته الاجتماعية العريقة[1].

وقال دشاسي: إن مقاومة الاستعمار [الاستخراب] الثقافي اقترنت بحماس ديني عارم، فقد ازداد الشناقطة تمسكًا بالإسلام وتطبيقًا لشعائره خلال فترة الاستعمار[2].

هكذا انبهر رجال المحتل الفرنسي بأصالة الشناقطة وصلابتهم وحصانتهم الروحية والثقافية، ولم يخفوا انطباعهم هذا، ولم يستطيعوا التنكر كليًا للحقائق التي اكتشفوها، فقابلوها «بالتفهم» واعترف بعضهم أمام بعض بقوة خصمهم الدينية والثقافية.

يقول شانيو رئيس مصلحة التعليم الابتدائي الفرنسي في تقرير له سنة ألف وتسعمائة وأربع وثلاثين: «إن الشناقطة المسلمين منذ قرون كان لهم وما زال علماء وفقهاء وأدباء معروفون في جميع البلاد الناطقة بالعربية، ونتفهم كونهم، لغيرتهم على ماضيهم، لا ينظرون إلى حضارتنا بحماس»...

(١) الوثائق الوطنية بنواكشط - الملف (٨/ ٤١).
(٢) بلاد شنقيط المنارة والرباط [ص/ ٣٤٠] خليل النحوي.

«إن الثقة معدومة بيننا الآن»[1].

ويقول الحاكم الفرنسي لموريتانيا «لغريه».

«لقد عالجنا مشكلة التعليم فور دخولنا موريتانيا، ولكنها مشكلة حادة، لقد وجدنا أنفسنا في مستعمرات أخرى في ساحة فارغة، أمام شعوب متلهفة إلى محاكاتنا، أما في موريتانيا فإن المقاومة الإسلامية لنمو نفوذنا عن طريق التعليم الفرنسي بدت مقاومة صلبة، وإن الشناقطة الذين أسلموا منذ قرون، وكان لهم – وما زال – فقهاؤهم وعلماؤهم لا يمكن أن يروا حضارتنا بعين الإعجاب التي ينظر بها السود، ثم إن موريتانيا من البلاد التي تمثل الثقافة فيها قمة المجد، وبها توجد مدارس كثيرة ومكتبات تمثل شواهد حية، كمكتبة شنقيط ... وهكذا انتصب في مواجهتنا عدو قديم وقوي هو: تعليم المحاضر، وللتغلب على هذا المنافس القوي تعين انتهاج سياسة حكيمة وتطلب الأمر جهدًا كبيرًا.

وقال الحاكم الفرنسي: إن المحاضر منتشرة في موريتانيا، وتكاد تكون موجودة في كل حي بدوي حتى في أحياء القبائل المحاربة، وتتعدد المحاضر في الحي الواحد[2].

ويقول الإداري الفرنسي بيري: «لقد لاحظت أنه لا يوجد أي مجتمع بدوي يبلغ مبلغ الشناقطة في العلم والعقيدة والتاريخ والأدب والفقه وعلوم العربية ... إنهم يتحدثون العربية الفصحى بطلاقة ويسر أحسن مما يتحدث بها سكان تونس والقاهرة، ولا يندر أن تجد فيهم راعي إبل من أبسط الرعاة يترنم بالشعر الجاهلي[3].

هكذا وجد المحتل الفرنسي مقاومة ثقافية شديدة من الشناقطة، حتى لخص

(١) الوثائق الوطنية نواكشط ملف [٤٤/ ٤٢].
(٢) المصدر السابق [٤٤/ ٤٢].
(٣) الوثائق السنغالية [دكار الملف ٧٨، ٩].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحدهم نتيجة نصف قرن من الصراع عندما غادروا البلاد قائلًا: «إن التعليم التقليدي [المحضرة] راسخ الجذور، وأنه ينال كل السكان، وأن إجراءات دمجه في المدرسة الفرنسية لم يلق رضا السكان[1].

مقاومة المحتل الفرنسي سياسيًا:

لقد كانت المقاومة السياسية رافدًا من روافد المقاومة، والتي كانت سببًا في عدم مسخ الشخصية الشنقيطية، وطمس معالم دينها وثقافتها.

قال خليل النحوي:

كان من دلائل إخفاق المدرسة الفرنسية في بلوغ أهدافها، أن تخرج منها جيل يتحدث لغة المستعمر، لكنه يفكر باللغة العربية كما يتحدث بها أيضًا، ويسعى لصالح شعبه ووطنه.

لقد قاد هذا الجيل وغذى المقاومة السياسية التي جاءت، منذ أربعينيات القرن العشرين من خلال حركات الشبيبة والأحزاب والهيئات السياسية[2].

وقال محمد يوسف مقلد: «الشيء الرائع في حياة الموريتانيين أن التأثير الفرنسي ظل تأثيرًا محدودًا لم يستطع رغم كل المحاولات أن يضعف فيهم الروح العربية الإسلامية، فبرهنوا بذلك عن مناعة قوية يستحقون من أجلها أعظم الإعجاب والاحترام[3].

ويقول لكرنوا: «لقد استطاعت المحاضر بوجه عام أن تصمد في وجه الغزو الثقافي الأجنبي وتؤدي مهمتها في صيانة ميراث ثقافي هو لها مدعاة فخر واعتزاز[4].

(١) الوثائق الوطنية نواكشط ملف [٣/ ٩].
(٢) بلاد شنقيط المنارة والرباط [ص: ٣٦٧].
(٣) شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون [ص: ٩٥]، محمد يوسف مقلد.
(٤) هو أحد الرحالة الذين تفطنوا عن الفرنسيين إلى الدور الذي لعبه الشناقطة في نشر الدين الإسلامي عبر أصقاع القارة الإفريقية.

هكذا شكلت المحضرة في عهد الاستعمار الفرنسي قلعة حصينة للصمود والمناعة الثقافية، وما كان للتأثير الفرنسي في بلاد شنقيط أن يظل محدودًا لولا الله عَزَّوَجَلَّ ثم جهاد المحضرة.

يقول موليين: إن سرعة نجاح الشناقطة تجعلنا نفترض أن المبشرين [المنصرين] المسيحيين في رأس الرجاء الصالح، قبل أن يتمكنوا من دخول المناطق الوسطى من القارة الإفريقية، سيلاقون هنالك مسلمين(١).

ويؤكد كابي من جانبه وهو أيضًا من الرحالة على الدور الذي لعبه الشناقطة في نشر الدين الإسلامي في المناطق الإفريقية المجاورة حين يقول: إن الكثير من الزنوج يأتون إلى الشناقطة لتعلم القرآن(٢).

ويقول موليين: إن الديانة المحمدية التي اعتنقها تقريبًا كل الشعوب الإفريقية التي زرتها قد أنارت عقولهم وصقلت أخلاقهم وطباعهم وحطمت في صفوفهم تلك الممارسات الهمجية التي يحتفظ بها الإنسان في حالة الوحشية(٣) حتى الشناقطة دأبوا على دعوة المستكشفين والغزاة الفرنسيين إلى اعتناق الإسلام والتمسك به.

يقول صولي: توقفت في طريقي وأنا أجوب صحراء شنقيط ومررت بمخيم فاستقبلني أهل هذا المخيم بالترحاب ودعوني إلى اعتناق الإسلام، وكان الأطفال يشاركون بطريقتهم في ممارسة تلك الدعوة، فعندما حان وقت الصلاة، وذهب الجميع لأدائها صاح الأولاد ملحين عليَّ أن أصلي، وكانت نظرات بعضهم ملأى بالتهديد إصرارًا على أداء تلك الشعيرة(٤).

(١) المجتمع البيضاني [ص: ٣٠٠] لمحمدو بن محمذن.
(٢) المصدر السابق [ص: ٣٠٠].
(٣) المصدر السابق [ص: ٣٠٢].
(٤) المصدر السابق [ص: ٣٠٢].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول كايي: عندما علم الشناقطة بنبأ اعتناقي للإسلام ارتاحوا كثيرًا وشجعوني على التمسك بهذا القرار(١).

وهذه المواقف وغيرها ليست غريبة أو وليدة أو مستحدثة على الشعب الشنقيطي، بل هي عادة وسجية عرف بها هذا القطر قديمًا وحديثًا، وهذه شهادة بعض الغربيين التي تدل وتبرهن على تعظيم الشريعة عند الشناقطة.

يقول الرحالة موليين وهو يصف كيفية أداء الشناقطة للصلاة: في جميع الجهات ترى رجال دين يسجدون ضارعين إلى الله، يقلدهم في ذلك الرجال والشيوخ والنساء والأطفال، خارين سجدًا نحو الشمس [يقصد القبلة] موجهين دعواتهم [للسماء] للخالق(٢).

ويقول كايّي: إن تأدية الشناقطة للصلوات الخمس ومواظبتهم عليها يوميًا وأن المسجد له مكانة عظيمة، ويلعب دورًا عظيمًا في حياتهم فضلًا عن دوره الديني، فهم يتناولون فيه قضاياهم المجتمعية والسياسية(٣).

ورغم تعامل الشناقطة مع المحتل الفرنسي إبان الاحتلال الفرنسي، إلا أن الشناقطة احتفظوا وحافظوا على ثوابت الدين الإسلامي في الأمر والنهي خاصة في مجال تحريم الخمر ولحوم الخنزير. ذلك ما يعترف به الرحالة موليين صراحة حيث يقضي فترة من الزمن في إحدى المحطات التجارية على نهر السنغال.

يقول: بينما كان التجار الشناقطة على متن سفينة كبيرة وهم في نقاشات حادة مع أحد التجار، إذ فاجأهم الفرنسيون وهم يحملون إلى السفينة خنزيرًا بريًا كبيرًا اصطادوه للتو قرب المحطة، وعلى الفور سارع الشناقطة أفواجًا إلى استخدام

(١) المجتمع البيضاني [ص: ٣٠٢] لمحمدو بن محمذن.
(٢) المصدر السابق [ص: ٣٠٢].
(٣) المصدر السابق [ص: ٣٠٢].

الزوارق لمغادرة تلك السفينة والابتعاد عنها لأنها بالنسبة لهم لم تعد صالحة للمقام طالما أن ذلك الحيوان النجس على متنها.

ويضيف موليين أن هلع الشناقطة كان شديدًا إلى درجة أن العديد منهم ارتموا في مياه النهر مفضلين تبلل ثيابهم على أن يتلطخوا بالاتصال بالخنزير أو بالصياد الذي يعتبر أكثر قذارة من فريسته، طبعًا لمرجعيتهم الثقافية [يقصد الشريعة][1].

هكذا الشناقطة إلى يومنا هذا يعظمون الشريعة ويعظمون مقاصد الشريعة ويبغضون المعاصي والمنكرات.

(١) المجتمع البيضاني [ص: ٣٠٥].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللغة العربية واللغات المحلية في غرب إفريقيا

تعتبر اللغة العربية من أقدم اللغات على وجه الأرض فقد مضى عليها ما يزيد على ألف وستمائة سنة، وقد تكفل الله عز وجل بحفظ هذه اللغة حتى يرث الله الأرض وما عليها لأنها لغة القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: ٩)، فهي لغة العلم والحضارة والثقافة ولغة الدين والعبادة.

ولقد أظهرت أحدث التقارير في الأمم المتحدة فيما يخص اللغات في العالم أن خمسين بالمائة من سكان الأرض يتحدثون ثماني لغات فقط من أصل ستة آلاف لغة تستخدم اليوم على الأرض، وأورد التقرير أن اللغة العربية من بين اللغات الثماني، وقد جاءت متفوقة على اللغة الفرنسية واللغة البرتغالية من حيث عدد المتحدثين بها؛ فلا عجب أن صارت اللغة الرسمية السادسة في الأمم المتحدة في عام ألف وتسعمائة وأربعة وسبعين[1]. وفي الوطن العربي تُعتبر اللغة العربية هي اللغة الأصلية لأكثر من عشرين قطرًا، تبدأ من دولة المغرب وتنتهي بالخليج العربي.

أما في إفريقيا فاللغة العربية هي اللغة الرسمية لتسع دول أفريقية وهي: مصر وليبيا وتونس والمغرب والجزائر وموريتانيا والسودان وتشاد وجيبوتي، ويتحدث بها بصورة واسعة في بعض دول وسط إفريقيا وشرقها، مثل الصومال وإثيوبيا وإريتريا، وجمهورية إفريقيا الوسطى وتنزانيا كما تُعد لغة شعائر دينية لأكثر من أربعمائة وثلاثين مليون مسلم في قارة إفريقيا ، وتستخدم اللغة الفصحى (من

(١) موقع العربية للجميع.

العربية) في الكتب والصحف وبرامج التليفزيون والراديو وللأغراض الرسمية وفي الأعمال والسياسة، كما أن معظم الأدب يُكتب بها[1].

تاريخ اللغة العربية في غرب إفريقيا:

قامت في غرب إفريقيا خلال العصور الوسطى (القرن الثامن الهجري/ القرن السادس عشر الميلادي) ممالك أفريقية إسلامية سادت ردحًا من الزمن، وقد أسهمت هذه الممالك إسهامًا إيجابيًا في نقل الحضارة والفكر الإسلامي العربي إلى تلك المناطق، كما ساعدت على نشر التراث الإسلامي، هذا بالإضافة إلى الدور الذي قامت به في تاريخ المنطقة اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا.

لقد استمر دفع الحضارة الإسلامية في إفريقيا في الانتشار في أيام القرن التاسع عشر»[2].

ولقد ارتبط انتشار اللغة العربية بالدعوة الإسلامية في بلاد الغرب الأفريقي، وسار الإسلام واللغة العربية جنبًا إلى جنب على الجهاد في سبيل الدين وتوسيعه رقعة البلاد الإسلامية. فضلًا عن تنشيط الحركة التجارية وقدر المسلم في بلاد غرب إفريقيا اللغة العربية تقديرًا يقرب من التقديس؛ لأنها لغة القرآن، بها يؤدي صلاته وبها يتلو القرآن، ويقرأ العلوم الشرعية، والدعوة الإسلامية تشجع على تعلم اللغة العربية وتجعلها جزءًا لا يتجزأ من الدين.

لقرون طويلة والقلم العربي هو القلم المعروف في إفريقيا دون غيره، فقد كانت علاقة تجارية قديمة بين البلاد التي كان العرب يطلقون عليها اسم (المغرب) قبل دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا .

اشتهرت عدة طرق للقوافل. كانت تبدأ من مدينة مراكش بالمغرب وتلمسان

(١) موقع ويكيبيديا.
(٢) إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (ص: ٥٤ – ٥٦) محمد بلو بن فودي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالجزائر وتونس وطرابلس ومصر مُتجهة إلى الجنوب لتجتاز الصحراء الكبرى وتصل إلى المراكز التجارية الرئيسة في غرب إفريقيا ، مثل غانا القديمة إلى دولة مالي.

وذكر المؤرخون أن التجارة ظلت لعدة قرون بأيدي الإغريق والرومان قبل دخول العرب والإسلام إلى المغرب، ثم تولاها العرب بعد فتح شمال إفريقيا ودخول الإسلام إليها، فأصبح العرب بعد ذلك يجتازون الصحراء الكبرى، ويتوغلون في إفريقيا التماسًا للرزق وكانوا يتاجرون في البضائع التي كان يتاجر فيها من قبلهم التجار الذين كانوا يُحضرون معهم إلى غربي أفريقية تلك البضائع المطلوبة، كالحرير، والسروج والسيوف والنحاس والملح وأنواع شتى من المنسوجات، فيبيعونها ويشترون الذهب والجلود والعاج وغير ذلك[1].

إن العلاقات التجارية بين العرب وغربي إفريقيا . والتي بدأت في القرن السابع الميلادي وازدهرت بعد القرن الحادي عشر الميلادي كانت هي المقدمات الأولى لانتشار اللغة العربية في إفريقيا ، ولقد نمت هذه العلاقات بطريقة سلمية طبيعية منذ ذلك التاريخ إلى أن بلغت أوجها بانتشار الإسلام في القارة الأفريقية. فالتجارة بطبيعة الحال تلزمها لغة التخاطب بين البائع والمشتري كما تولد الصلة بينهما، وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية؛ فمن الطبيعي أيضًا أن يلتقطها التجار والأهالي من العرب وينشروها فيما بينهم.

هذه العلاقة التجارية هي التي وضعت حجر الأساس للغة العربية في غرب إفريقيا . وبدأ أولئك التجار يُدخلون كلمات وتعابير عربية في تلك المناطق فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجيًا حتى توغلت في ربوع إفريقيا واندمج بعضها في اللغات المحلية وخصوصًا بعد انتشار الإسلام، ومما يؤكد هذا وجود كلمات عربية كثيرة في بعض اللغات واللهجات الإفريقية مثل لغتي الهوسا والفلاني، وبخاصة

(١) دائرة المعارف الإسلامية (١١/ ٢٣٨).

أسماء تلك البضائع التي كانت تصدر إليها من المغرب في تلك القرون الغابرة، وهذا فضلًا عن الكلمات والتعابير الإسلامية التي دخلت مع دخول الإسلام، فتجد في لغة الهوسا مثلًا أن أسماء هذه البضائع عربية، فكلمة السرج والحرير والزعفران واللجام والقلم والدواة وأمثالها كلها وافدة على لغة الهوسا وتُنطق بتحريف بسيط.

لذلك يمكن القول إن اللغة العربية قد تركت آثارها في عدد من اللغات المحلية لدرجة كبيرة، وظهر هذا الأثر واضحًا في لغة الهوسا وصنغي والفلاني، ويوجد في هذه اللغات الكثير من الكلمات ذات الأصول العربية، بل إن الحروف العربية استُخدمت في كتابة لغة الهوسا منذ زمن بكر، كما استخدمت في اللغة الفلانية[1].

لقد ساعد على انتشار اللغة العربية والتمسك بها – فضلًا عن الجانب الديني المرتبط بها – أن الكثير من الشعوب الإفريقية قد ادعو أنهم انحدروا أصلًا عن العرب.

كذلك من العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في إفريقيا الإسلامية هجرة القبائل إلى تلك البلاد واستقرارها فيها، وهذه الهجرات قديمة وسابقة على دخول الإسلام، وازدادت بانتشار الإسلام، ثم إن مُصاهرة العرب والبربر مع القبائل الإفريقية ساعد على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام، مثل قبائل شوا والفلاني والماندنجو.

وظفر الإسلام واللغة العربية بنجاح كبير في هذه البلاد، فأدى ذلك إلى تقدمها وتطورها، ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية في غربي إفريقيا بعهود الإمبراطوريات الإفريقية الإسلامية الكبرى بغانا ومالي فقد كانت اللغة العربية الرسمية السائدة فيها، واستخدمت في مجال الحكم والإدارة والقضاء،

(١) الإسلام واللغة العربية مقال في مجلة (جامعة أم درمان)، ص ٣٦ العدد الثاني لسنة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واستخدمت في المكاتبات الرسمية بين هذه الدول وبين العالم الإسلامي الخارجي، ووجدت في الدواوين المصرية زمن المماليك صيغًا عربية خاصة لمخاطبة ملوك تلك البلاد لتصدير المكاتبات بها.

المعوقات والتحديات التي تواجه اللغة العربية:

(١) عدم وجود المقررات الدراسية الموحدة على امتداد المستويات سواء الابتدائية أو الإعدادية أو الثانوية أو الجامعية.

(٢) كثرة النزاعات العقدية في صفوف المسلمين.

(٣) عدم الاهتمام الكافي من الحكومات والمؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية باللغة العربية.

(٤) نظرة بعض المثقفين إلى اللغة العربية على أنها لغة غير منتجة.

(٥) الافتقار إلى الوسائل التعليمية المناسبة، فمعظم المدارس والمعاهد التي تدرس اللغة العربية تفتقر إلى الوسائل التعليمية الحديثة.

(٦) قلة عدد المتخصصين من الأفارقة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

(٧) قلة عدد المعاهد المتخصصة في إعداد معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها وتطويرها.

(٨) ضعف العائد المادي لمعلمي اللغة العربية، وهذا مما جعل المتميزين منهم يبحثون عن عمل إضافي أو عمل آخر.

(٩) قلة أو انعدام أقسام اللغة العربية في كثير من الجامعات في غرب إفريقيا .

(١٠) معظم المؤسسات التي ترعى تعليم اللغة العربية ونشرها مؤسسات أهلية خارجية.

(١١) كثير من المعلمين لا يستعملون اللغة العربية للتخاطب والتحدث بها بين

بعضهم البعض، وربما يضطر بعضهم أن يشرح كتاب اللغة العربية للطلبة باللهجات المحلية.

(١٢) وضع القوى المحتلة لدول غرب إفريقيا لغاتها في مكانة سامية؛ لمعرفتهم بأن اللغة وسيلة لأهداف متعددة، أهمها ربط المستعمرات بالدولة المستعمرة حاضرًا ومستقبلًا.

(١٣) جعل المكاتبات والأوراق الرسمية بالجهات الحكومية بلغة المحتل والمستعمر.

(١٤) استخدام المحتل اللغات المحلية للبلاد بديلًا عن العربية وتشجيع نعرة اللغات المحلية.

(١٥) شجعت الدول المستعمرة على جعل اللغة العامية بديلة عن اللغة الفصحى لأن اللغة الفصحى تجمع أما اللغة العامية فتفرق[١].

وسائل تطوير اللغة العربية:

هناك وسائل واقتراحات تهدف إلى التصدي والتخفيف من العقبات التي تقف حجر عثرة في طريق تعليم وتمدد التعليم العربي في غرب إفريقيا والتي منها:

- تأسيس هيئة خاصة مستقلة يكون الهدف منها تخطيط وتنسيق أنشطة المدارس الإسلامية والعربية والإشراف عليها.
- تأسيس معاهد خاصة لتدريب مدرسي اللغة العربية والعلوم الإسلامية.
- تأسيس جامعات ومدارس ومعاهد في المدن التي يكثر بها السكان المسلمون.
- العمل على تنظيم مؤتمرات وندوات ودورات تستمر سنويًا للتعريف باللغة العربية وربطها بالإسلام.

(١) ملامح من تاريخ اللغة العربية (ص ٢٦٧) لأحمد نصيف الجنابي بتصرف بسيط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- تشجيع البحوث اللازمة لتطوير مناهج تعليم اللغة العربية.
- إنشاء مكتبات خاصة بكتب تعليم اللغة العربية.
- ابتعاث عدد أكبر من الطلاب لدراسة الماجستير والدكتوراه في تعليم اللغة العربية.
- الاهتمام ببناء مناهج للغة العربية تلائم البيئة الأفريقية، وتراعي جوانب المناهج المختلفة.
- تشجيع الكتاب العربي بكل الوسائل، وتشجيع تكوين الجمعيات الأهلية لحماية اللغة العربية والدفاع عنها.
- تحسين وضع معلم اللغة العربية حتى يؤدي دوره على أكمل وجه.
- وضع خطة لتعليم اللغة العربية عن طريق التلفاز والراديو والحاسوب[1].

اللغات الأفريقية:

كانت اللغة العربية، قبل الإسلام، لغة قوم، تتوزع بهم إلى لغات قبائل. وكان ظهور الإسلام انقلابًا كبيرًا في تاريخ اللغة العربية، فقد أخذت لغات القبائل العربية تتجمع وتنصهر في لغة واحدة. ولكن اللغة الواحدة الجامعة، لم تعد لغة قوم، بل أصبحت لغة إنسانية، لا يختص بها قوم دون قوم، منذ أن اختارها الله مفصحة عن خطابه الأزلي للناس أجمعين. فمن قبل كان النبي ﷺ يُبعث إلى قومه خاصة، فإذا نزلت عليه صحف أو كتاب ينزل بلغة قومه، أما وقد بعث محمد ﷺ للناس كافة، ونزل عليه القرآن بلسان عربي مبين، فقد حُرِّرت اللغة العربية من

(١) مجلة قراءات، العدد الخامس، جمادى الثاني ١٤٦٣١ هـ - يونيو ٢٠١٠م.

الطوق الجغرافي والبشري، الذي كانت فيه لسان قوم دون قوم، ورفع الله من شأنها لتكون لغة إنسانية تحمل دعوة التوحيد، والكلمات الطيبة، والحكمة النافعة، والقيمة الفاضلة إلى البشرية جمعاء.

وبخاصيتها هذه أتيح للغة العربية أن تسود العالم وتعلو على لغات الشعوب والأمم الأخرى، لتكون لغة الحضارة البشرية الأولى لحقب طويلة. فمنذ أن نزل بها القرآن، وقبل أن ينقضي قرن واحد (أزاحت السريانية والكلدانية والنبطية والأرامية واليونانية والقبطية، وفي القرن الثالث الهجري تحولت إليها كل أعمال الدين والدواوين ثم كتب بحروفها اللغات التركية والفارسية والأوردية والأفغانية والكردية والمغولية والسودانية والإيجية والساحلية، كما كتبت بها لغة أهل الملايو[1]، وعلى ما كان من عداء المستشرقين من أمثال أرنست رينان للإسلام الذي صدع بهذه الحقيقة مستغربًا شاكيًا حيث قال: «إن أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره: انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئ ذي بدء، فبدأت في غاية الكمال سلسة أي سلاسة غنية أي غنى، كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ يومها هذا أي تعديل مهم، فليس لها طفولة ولا شيخوخة. ظهرت لأول أمرها تامة محكمة، ولم يمض على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم بالعربية ليفهمها النصارى، ومن أغرب المدهشات أن نبتت تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، نبتت في وسط الصحارى عند أمة من الرحل. وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم علمت ظهرت لنا في أطوال حياتها لا

(١) اللغة العربية (ص: ٧) لأنور الجندي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طفولة لها ولا شيخوخة، ولا تكاد تعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها التي لا تبارى. ولا نعلم شيئًا عن هذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدريج وبقيت حافظة لكيانها خالصة من كل شائبة(١).

وقال جان وسيمون لاكوتير: «العربية ليست عرقًا ولا وطنًا ولا شعبًا، وإنما هي لغة برزت مسلحة بكتاب عظيم مقدس، يتلوه الناس ...».

إن لغة هذه شأنها (ليست بلغة إخضاع واستلحاق، وإنما هي لغة تكون الناس وتحررهم(٢).

وقال توماس أرنولد: «إن اللغة العربية، وهي لغة الديانة الإسلامية قد بلغت حدًا يفوق كل وصف، لقد أصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة الأفريقية(٣).

اللغات واللهجات في غرب إفريقيا:

لا يجد بعض الكتاب الأفارقة أي حرج في وصف المجتمعات الإفريقية التقليدية بأنها هشة ثقافيًا ممزقة: «وفي ذلك بعض الحقيقة. فبالنظر إلى عدد اللغات واللهجات المنطوقة في إفريقيا ، لا نكاد نجد أساسًا ثقافيًا للوحدة الإفريقية التي يُنادي بها الساسة والمثقفون».

فهناك أكثر من ستمائة لغة يتحدثها سكان القارة، فضلًا عن آلاف اللهجات التي لا يتكلمها أحيانًا إلا مجموعات صغيرة تحسب بالمئات.

وعلى سبيل المثال لا الحصر في دولة غانا تم إحصاء ما بين سبع

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ٢٨-٢٩) للخليل النحوي.
(٢) المصدر السابق (ص: ٢٩).
(٣) العالم الإسلامي والاستعمار (ص: ٢٧١) لأنور الجندي.

وأربعين إلى اثنتين وستين لغة وأكثر من ثمانمائة لهجة. وهناك مائة وخمسون لغة صغيرة في دولة نيجيريا، واثنان وسبعون لغة في دولة ساحل العاج.

اللغات الإفريقية الكبرى:

كان للإسلام الأثر البالغ في تنمية اللغات الأفريقية، وتيسير التواصل بين مجموعات كبيرة من أبناء القارة، ففي كنف الدين الحنيف تكونت وتنامت لغات جامعة، هي إلى اليوم، أوسع اللغات الإفريقية انتشارًا وأرسخها قدمًا في تاريخ الإنسان الأفريقي، وأعلقها بوجدانه، وأمكنها في حياته اليومية. ولنضرب لذلك مثلًا بست لغات كبرى هي: اللغة السواحلية والهوسية والفلانية واليوروبية والماندنكية والولفية. فهي لغات تحمل كلها بصمة الإسلام ولغة القرآن، وتشترك في أنها لغات اتصال في أكثر من بلد أفريقي، وإن كانت تتوزع أحيانًا إلى لهجات تختلف من بلد إلى بلد.

اللغة الفُلانية:

هي لغة ذات لهجات تختلف تسمياتها باختلاف المناطق والشعوب التي تتحدثها، ومن أشهر تسمياتها الأخرى (البولارية) و(الفلفلدي) وبالفلانية على اختلاف لهجاتها تتحدث أقوام وشعوب كثيرة في دولة غينيا ودولة السنغال ودولة سيراليون ودولة غامبيا ودولة مالي ودولة بوركينا فاسو ودولة النيجر ودولة نيجيريا ودولة موريتانيا وغيرها من الدول الأفريقية، وهذه اللغة تُدرس في ثلاث جامعات بألمانيا وفرنسا وبريطانيا[1].

(١) العربية .... م س، (ص: ١٢٢) لأحمد العايد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويعتز الفلانيون بلغتهم هذه اعتزازًا كبيرًا، نلمس أثره عند الشيخ عبد الله فودي الذي قال: إن على الفلانيين ألا يهجروا لغتهم أبدًا، مؤكدًا أن مثل من يهجر لغته – يقصد غير اللغة العربية – مثل من يهمل والديه ويهتم بوالدي غيره.

ويرى الشيخ عبد الله فودي أن بين اللغتين الفلانية والعربية تشابهًا كبيرًا .. ويذهب في ذلك بدءًا، إلى أن مصطلح «الفُلانية» الذي أيضًا يُطلق على الفُلان «أو الفلانيين» هو مصطلح عربي مشتق من الجذر العربي (فلت) فهم قوم يفلتون، فينجون بأنفسهم عندما يرون ما يسوؤهم.

وقد نقل أحمد دياب عن الشيخ عبد الله فودي قائمة تتضمن جزءًا من رصيد المقترضات العربية في اللغة الفلانية، منها: مودبو (من العربية مؤدب)، دفتري (دفتر)، أفام (فهم)، سدم (سد)، قبري (القبر)، اسما (السماء)، فجري (الفجر)، حقي (الحق)، حسدِي (الحسود)، مصيبة (المصيبة)، سبابو (السبب)، است (السبت)، الت (الأحد)، التين (الاثنين)، تلاتا (الثلاثاء)، الربع (الأربعاء)، الخميسا (الخميس)، هيبا (الهيبة)، إلا (العلة)، فايدا (الفائدة).

وتحدث الأستاذ أبو بكر خالد با عن أثر اللغة العربية في البولارية المنطوقة في منطقة فوتا بحوض نهر السنغال، موضحًا أن للعربية تأثيرًا مماثلًا أو أكبر في لهجة سكان دولة غينيا، ومن المفردات العربية التي أوردها الأستاذ أبو بكر خالد: أسماء الأسبوع عدا السبت، وكلمات أخرى منها: آلا (من العربية: لا)، لاجل (الأجل)، بيتي (بيت)، آلبنونا (البنون)، بورو (البوار)، تمي (ثم)، سيبو (ثيب)، جيب (جيب)، جنايزا (جنازة)، جيبة (جيفة)، هيسا (حساب)، هكيكة (حقيقة)، هاجو

(حاجة)، هرمة (حرمة)، هرفير (حرف)، هار (حرب)، كبارو (خبر)، جمانو (زمان)، سترو (ستر)، سكرد (سكر)، سرو (سر)، سردي (شرط)، سكي (شك)ن سديدا (شديدا)، فترا (فترة)، فاتاد (فات)، قاولو (قوّال)، كجالك (كذلك)، كلمى (كلمة)، لولو (لؤلؤ)، مرجنو (مرجان)، نسمة (نعمة)، هيمهْ (همة)، هلكاد (هلك) [1].

اللغة الماندنكية:

تعتبر لغة اتصال منتشرة في دولة مالي ودولة غينيا ودولة ساحل العاج ودولة السنغال ودولة غامبيا ودولة سيراليون ودولة ليبريا ودولة غنيا بيساو ودولة بوركينا فاسو، وهي ذات لهجات كثيرة منها: البمبارا، وما نغرتي، وكالونغو، وكوغورو والمالنكية والبمبارية وديولا. وكانت في عهد إمبراطورية مالي، قديمًا، لغة إدارة وتجارة ويبلغ عدد الذين يتكلمون الماندينكية اليوم بمختلف لهجاتها أكثر من خمسة ملايين شخص[2].

وفي جميع تلك اللهجات التي تتحدثها شعوب مسلمة في غرب إفريقيا نجد أثر اللغة العربية واضحًا وجليًا وقد تناول الأستاذ عبد الله بالدي في بحث خاص، ذكر فيه أثر اللغة العربية في اللغة الماندنكية المنطوقة في دول غرب إفريقيا ، وأنها موزعة بين مجالات مختلفة:

وهي: الدين والتربية، والسياسة والقانون والحياة المدنية، والأماكن والأشياء، والأوقات والأيام، وألفاظ أخرى وهذه بعض المفردات التي ساقها الأستاذ عبد الله بالدي: حقي (من العربية: الحق) حرامو (احترام، حينو (حزن)، آفية (عافية)، حاجو (حاجة)، كاكيلي (عقل)، خيرًا

(١) (العربية ... م س) (ص: ١٠٧-١١٠) و(ص: ٥٧-٦٠) أحمد دياب وأبو بكر خالد با، وانظر إفريقيا المسلمة (ص: ٣٨-٣٩) للخليل النحوي.

(٢) العربية ... م س، (ص: ٢١ -) يوسف خليفة وأحمد دياب وأحمد العايد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(خير)، نآم (نعم)، سُترة (سترة)، آده (عادة)، دارجة (درجة)، جمان (زمان)، تسَبُ (سبب)، سيره (سيرة)، با (بحر)، كافورا (كافور)، سُكر (سكر)، تمار (تمر)، واتي (وقت)، صوبا (صبح)، أبدا (أبداً) (١).

اللغة اليوروبية:

هذه اللغة واحدة من أكبر المجموعات البشرية الموجودة بدولة نيجيريا، وكذلك هذه اللغة منتشرة بدولة بنين ودولة توغو، حتى أن عدد المتكلمين بها في دولة نيجيريا ودولة بنين ودولة توغو ما يربو على عشرين مليون شخص وتتفرع هذه اللغة بدورها إلى لهجات كثيرة.

يبلغ عددها نحو عشر لهجات، وقد ذكر بعض الباحثين أن في اليوروبية فئتين من المفردات العربية:

فئة جلبها الأسلاف معهم في هجرتهم القديمة (قبل الإسلام) من بلاد العرب، وفئة حملها الإسلام معه قبل قرون قليلة أو أقل.

ومن الفئتين مئات المفردات التي تغطي كثيرًا من الحياة المختلفة مصنفة في سبعة أبواب:

وهي: الدين والأخلاق، القراءة والكتابة والتربية والزمن، والصفات البشرية وما تحمله من مزايا وعيوب، وأعضاء الجسم، وشؤون المنزل، ومجالات أخرى. وهذه نماذج من المفردات.

الكاواني (من العربية: القوانين)، هكيكة (حقيقة)، مكرو (مكر)، مرابا (مرحبا)، البوسة (البصل)، أسارُ (خسارة)، جنماء (جماعة)، سكنى (سكن)، ألماني (المال)، أرا (الربح)، فداك (فضة)، ألمس (الخميس)، جمو

(١) دراسة مخطوطة عن الاقتراضات العربية في لغة الماندينك بالسنغال، لعبد الله بالدي.

(الجمعة)، ستيد (السبت)، ساء (ساعة)، وكتى (وقت)، إمُو (علم)، ألافيا (العافية)، ألابو (العيب)، لدبي (الأدب)، وهله (وهلة)، أوجو (وجه)، أرى (رأس)، سما (سماء)، آني (أعني)، إيال (عيال) [1].

اللغة السواحيلية:

تختلف الآراء حول نشأة اللغة السواحيلية، ولكنها تكاد تجمع على أنها ثمرة امتزاج اللغة العربية ببعض لغات البانتو أو اللهجات الإفريقية التي كان يتحدث بها سكان شرق إفريقيا ، وكان للعرب وهم يؤدون الأعمال التجارية والإدارية في المنطقة، دور مشهود في نشر السواحيلية في أقاليم واسعة حتى عمق غرب إفريقيا وتتفاوت الإحصاءات بشأن المفردات ذات الأصول العربية في السواحيلية. فنجد بعض الباحثين يحددون نسبة المفردات العربية في اللغة السواحيلية بنسبة اثنين وعشرين بالمائة.

اللغة الهوسية:

اللغة الهوسية لغة اتصال منتشرة في نيجيريا والنيجر وغانا وغيرها من بلاد غرب إفريقيا ، بل هي تمتد إلى دولة الكاميرون والسودان، وهي لغة قضاء وإدارة وتعليم في شمال نيجيريا، وتُدرس هذه اللغة في بعض المؤسسات والجامعات في أوروبا مثل: ألمانيا وفرنسا وبريطانيا وهولندا وبولونيا ورومانيا وسويسرا[2].

والتشابه بين اللغة الهوسية والعربية لا يقف عند حد اقتراض المفردات، بل تناول البُنية الصرفية، وكذلك هناك تشابه في بناء الفعل المضارع من الفعل الماضي، وتشترك اللغة الهوسية أيضًا مع اللغة العربية

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ٤٠ – ٤١) للخليل النحوي.
(٢) العربية في اللغات الإفريقية (ص: ١٢٢) لأحمد العايد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في البناء الجذري لكل منهما، حيث تشتق من الجذر الواحد مفردات كثيرة، تتعدد معانيها باختلاف الزيادات التي تطرأ على جذرها، وتستعمل الهوسة تضعيف حرف من الفعل لتقوية المعنى، كما يحدث في تضعيف عين الفعل العربي.

اللغة الولفية:

تنتشر اللغة الولفية بشكل خاص في دولة السنغال ودولة غامبيا حيث تتحدث بها أغلبية السكان، وكذلك تنتشر بقوة كبيرة في دولة موريتانيا واحتكاكها مباشر مع اللغة العربية حيث إن الأكثرية من سكان دولة موريتانيا يتكلمون اللغة العربية. وهكذا يتبين أن اللغات الست المذكورة تغطي أغلب دول ومناطق دول غرب إفريقيا ، وأنها تحتل موقع الصدارة بين لغاتها، وأنها بينها وبين اللغة العربية قرابة كبيرة جدًا.

معوقات التعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا

تحتل اللغة العربية مكانة عظيمة منذ فجر دخول الإسلام في غرب إفريقيا ، وقد تطور التعليم العربي الإسلامي فيها كثيرًا عبر مراحل وفترات تاريخية حتى أصبح منها ما هو أهلي وحكومي، فالمؤسسات التعليمية في غرب إفريقيا تنقسم على هذا النحو، فهي إما مؤسسات خاصة (أهلية)، وإما مؤسسات حكومية.

المؤسسات التعليمية الأهلية:

وهي مؤسسات تتبع أفرادًا في الغالب، وهي على نوعين:

النوع الأول: المؤسسات التعليمية الإسلامية غير النظامية (التقليدية): وهي مؤسسات لم تسر على النظام الحديث، من حيث تدرج المراحل وتصميم المناهج ووضع المقررات، ونحو ذلك، وهي أقدم المؤسسات التعليمية، وقد كان لها دور مهم في نشر الإسلام في إفريقيا ، وهي عادة ما تكون ملحقة بالمسجد، أو في مبان منفصلة تابعة لبعض المشايخ.

النوع الثاني: المؤسسات التعليمية الإسلامية النظامية: وهي التي أخذت بالنظام العصري، وتتبع منظمات وجمعيات تشرف عليها، أو تتبع أفرادًا، وغرضها الأساسي دراسة العلوم العربية والشرعية فقط لاغير؛ لأن أصحابها يرون أن مدارس الحكومة ومنهاجها لا تفي بالمقصود ولا تخدمه، وهذا النوع من المدارس يهتم بحفظ القرآن، والقراءة والكتابة، ويقتصر على المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية.

إلا أنه أمكن في بعض البلاد إنشاء جامعات إسلامية وكليات، مثل: (الجامعة الإسلامية في النيجر، وهي تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي لتعليم أبناء المسلمين في

www.alukah.net
شبكة الألوكة

غرب إفريقيا الناطقة بالفرنسية، وجامعة يحي جامي «جامعة الإحسان» بدولة غامبيا، وهي تابعة للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بالسعودية، وجامعة الهدى الإسلامية في دولة بوركينا فاسو، والمجمع الجامعي في بوركينا فاسو، وكلية إسلامية في بوبو دولاسو ببوركينا فاسو، وجامعة عبد الله بن ياسين، ومعهد أنس ابن مالك بموريتانيا، والجامعة الإسلامية بدولة ساحل العاج، والجامعة الإسلامية بدولة غانا.

المؤسسات التعليمية الحكومية:

وهي تتباين وتختلف في غرب إفريقيا بحسب كثرة المسلمين أو قلتهم ففي البلاد التي يكون أكثر أهلها من المسلمين على سبيل المثال مثل دولة موريتانيا، ودولة مالي، ودولة النيجر، ودولة السنغال ودولة غامبيا، تدرس الموارد باللغة العربية والفرنسية، أو الإنجليزية والعربية وذلك في المدارس المزدوجة.

أما المدارس غير المزدوجة التي تدرس بالفرنسية فقط أو الإنجليزية؛ فتجعل مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية مواد غير أساسية، أي أنها مواد اختيارية يختارها التلميذ حسب رغبته، وتُعد دولة النيجر ودولة السنغال من أول الدول التي طبقت هذا النوع من التعليم، وكذلك شمال نيجيريا، وحديثًا دولة مالي ودولة غينيا، وقد فُتح في بعض جامعاتها أقسام للغة العربية.

وأما البلاد التي يشكل المسلمون فيها أقلية؛ فإنه لا وجود للغة العربية ولا للتربية الإسلامية في مناهجها، وكل المدارس العربية الإسلامية فيها أهلية، ولا تعترف الحكومات بشهاداتها.

معوقات التعليم العربي الإسلامي:

قد واجه التعليم العربي الإسلامي تحديات كبيرة في غرب إفريقيا سواء قبل الاستعمار الغربي أو بعد الاستعمار الغربي حتى إلى يومنا هذا، ومن هذه المعوقات.

أولًا: معوقات المناهج التعليمية:

مما لا يخفى على التربويين أهمية المناهج في العملية التعليمية، فإن أغلب عناصر التعليم كالمعلم والكتاب والوسائل الأخرى، تعتمد على المناهج الدراسية، والمنهج السليم هو الذي يُحقق أهدافه من تكوين فرد مسلم عابد لله عَزَّوَجَلَّ ومخلص لبلاده، ويُساهم في تكوين مجتمع من مثل هذا الفرد الصالح، ويهدف كذلك إلى تعليم اللغة العربية بوصفها وسيلة لفهم القرآن والسُنة، فيتوثق رباط المسلمين بدينهم وحضارتهم. وعليه؛ فينبغي أن يكون محتوى المنهج قائمًا على ما يأتي:

١- أن يكون قائمًا على أساس الدين الحق، محققًا للأهداف الشرعية.

٢- أن يؤدي إلى تبصير الدارسين بدينهم وحصانتهم ضد الأفكار المنحرفة.

٣- أن يُناسب المحتوى قدرات الدارسين العقلية ومستواهم التعليمي.

٤- أن يوزع المحتوى على المراحل الدراسية والفترات والأسابيع والحصص.

٥- أن يؤدي إلى استمرار التعليم ومتابعته.

وأهم معوقات المناهج في غرب إفريقيا هي:

(١) غياب المنهج الصحيح لدى كثير من المدارس الإسلامية: وذلك تأثرًا بالمنهج العلماني، وأصحابه هم الذين تعلموا في مدارس أوربية أو ذات صبغة أوربية، ويرى كثير منهم أنه ما أقصى غرب إفريقيا ولا أبقاها في ظلام إلا العلوم الإسلامية واللغة العربية. وقد أفرز هذا المنهج تعليمًا غابت فيه الأهداف الشرعية والوطنية، بل زاد الجهل بالدين.

ومما ساعد على هذا أن لغة المستعمر أصبحت هي لغة التعليم، وأصبح المثقف المسلم يتلقى معرفته عن الإسلام وتاريخه وحضارته عن طريق اللغات

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأوربية التي ملئت كتاباتها بالدسائس على الإسلام والصور المشوِّهة لتاريخه، وذلك مع غياب أو ندرة الكتب الصحيحة المترجمة إلى تلك اللغات، ولهذا ربما اعتمد في بعض الجامعات على كتب كتبها مستشرقون أو متغرِّبون، مثل: «مونتغمري وات» و«فيليب حتى» صاحب كتاب تاريخ العرب، ومن مكائد هذا الأخير حصره للإسلام في أنه حضارة للعرب خاصة، ويشوه الصورة الصحيحة للإسلام خصوصًا إذا قُرئ ذلك مع ما كتبه المستشرقون عن العرب وتجارة الرقيق في إفريقيا .

وقد نما شعور بالنقص لدى من تأثر بهذا المنهج العلماني المستقى من الثقافة الأوربية، يرافقه شعور بسمو الرجل الأبيض الأوروبي ورفعة حضارته! ما أدى إلى الإعجاب بكل ما هو آتٍ منهم، مع تولد نفرة من اللغة العربية والعلوم الشرعية وأهلها.

(٢) عدم ملاءمة ما يُدرس للتلاميذ من المناهج للبيئة المحلية: حيث يدرسون مناهج ليس لها صلة ببيئتهم، وهي من السعودية أو مصر أو ليبيا أو المغرب وغيرها من الدول العربية.

(٣) اختلاف مناهج التعليم، واستقلال كل مدرسة بوضع منهجها: ومنح شهادتها. وعدم استقرار المنهج حتى في المدرسة الواحدة أحيانًا، وهذا عادة ما يكون في التعليم الأهلي لا الحكومي.

(٤) عدم الالتزام بمنهج محدد المعالم متكامل المحتوى: إذ يوجد في بعض البلاد مسائل مهمة مهملة لا تذكر في المنهج، مثل: تاريخ غرب إفريقيا القديم والحديث، والحضارة الإسلامية فيها، وتاريخ الأدب العربي الأفريقي وإعلامه في المنطقة، أو قد تذكر لكن على وجه غير كافٍ، وهو ما يخرج جيلًا يجهل ماضيه الإسلامي.

(٥) انحصار مناهج المعاهد العربية الإسلامية في العلوم الشرعية والعربية: وجهل خريجها باللغات الأوروبية والعلوم العصرية.

ويبدو أن لهذه المعوقات عدة عوامل، منها:

(أ) أن المدارس العصرية أيام الاستعمار كان من أهدافها طمس الإسلام في نفوس أهل غرب إفريقيا المسلمين، وكانت مطية للتنصير وزعزعة العقائد، فاضطر المسلمون إلى هذا الانحصار، كما أدى ذلك إلى كراهية أهل غرب إفريقيا إلى كل ما يتعلق بثقافة الأوروبيين.

(ب) أن بعض المدارس والمعاهد الإسلامية دخلت في تجربة إدخال الثقافة الأوروبية إلى مناهجها، فأدى هذا الدمج إلى ضعف شديد في الدراسات الإسلامية، وقد كان لازدواجية التعليم المكروه عند المسلمين أيضًا أثر في تقهقر مثل هذه المدارس.

(جـ) انقطاع الصلة، أو ضعفها، بين تلك المدارس والمعاهد في إفريقيا مع الدول الإسلامية العربية التي تقدمت في مجالات أخرى لتستفيد من خبراتها، إلا بعض الجمعيات الأهلية، أو بعض الأفراد.

(د) قلة الإمكانات المادية الذاتية، وعدم وجود مساعدات خارجية، أو قلتها، لقيام مثل هذه المدارس والمعاهد المزدوجة.

ومع عدم وجود أو قلة مثل هذه المدارس المزدوجة ينتسب بعض الطلاب، خصوصًا في دول غرب إفريقيا ذات الأقلية المسلمة، إلى مدارس تدرس فيها النصرانية أو العلمانية، فيتعرضون لخطر التنصير والعلمنة؛ ولذلك بقيت أكثر الأسر مُعَرِّضَة عن مثل هذا التعليم حفاظًا على الدين، وإن تضرروا في جانب المهن من طب وهندسة واقتصاد وغير ذلك.

ثانيا: معوقات متعلقة بالمعلمين والمشرفين التربويين:

تفتقر كثير من المدارس العربية الإسلامية إلى المعلمين المؤهلين تربويًا، الملمين بطرق التدريس الحديثة وأساليبه ووسائله، فمعظم المعلمين فيها جاؤوا من مقاعد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدراسة إلى فصول التدريس مباشرة دون تدريب في هذا المجال المهم. زيادة على ذلك؛ فنادرًا ما تجد المشرفين التربويين مؤهلون للإشراف على المدارس العربية الإسلامية، فضلًا عن المفتشين، وقد أدت كل هذه الأشياء إلى ضعف مستوى كثير من الأساتذة ومعلمي المدارس العربية الإسلامية سواء من جهة الحصيلة العلمية، أو الخبرة العملية في التعليم، وهو ما يؤثر سلبيًا في تحصيل التلاميذ، وينتهي إلى ضعف مستواهم.

ثالثًا: مشكلة الوسائل التعليمية المناسبة:

لا يزال الاعتماد على الألواح الخشبية وسيلة للتعليم في المدارس التقليدية القديمة، وذلك من أسباب طول المدة التي يقضيها الطلاب لاستيعاب دروس اللغة العربية والتربية الإسلامية.

أما المدارس النظامية، وإن كانت لا تعتمد على الألواح الخشبية، فإنها ما زالت تفتقد الكثير من الوسائل التعليمية، ومنها الكتاب المناسب في محتواه وإخراجه، وبالجملة فإنه يُلاحظ أن الكتاب المناسب نادر ولا يتوفر لأكثر التلاميذ.

رابعًا: الضعف المادي:

ضعف التمويل أدى إلى انعدام المباني المدرسية المناسبة الحديثة، أو قلتها، في أكثر دول المنطقة، كما أدى إلى عدم توفر الأثاث والتجهيزات اللازمة للعملية التربوية، كالكراسي والطاولات والسبورات المناسبة، وكثير من التلاميذ، خصوصًا في المدارس العربية الإسلامية الأهلية، يفترشون الأرض والحصائر أو يجلسون على كراسي وطاولات متهالكة.

ويُلاحظ أن الجهات الرسمية في بعض البلاد تعتذر عن دعم المؤسسات التعليمية الإسلامية، وذلك بدعوى أنها لا تأخذ بمنهج الوزارة الرسمي، والعجيب أن بعض البلاد التي ألزمت المدارس العربية الإسلامية بالمنهج الرسمي ما زالت تهمل تلك المدارس؛ في الوقت الذي تقوم فيه بدعم المدارس غير العربية!

خامسا: مشكلة ضعف اللغة العربية:

لقد عمل المستعمرون قبل رحيلهم من غرب إفريقيا على إضعاف اللغة العربية وإحلال لغاتهم محلها. وأظهروا لغاتهم بوصفها لغات العلم والحضارة، ووصموا اللغة العربية بالتخلف، وشاء الله أن تبقى اللغة العربية وإن ضعفت في كثير من البلاد، ولا شك أن وراء صمود هذه اللغة مكانة اللغة العربية في نفوس المسلمين وحرصهم عليها، ومظلة الإسلام التي ما برحت تحميها من كل غارة تهب عليها. لقد ساهمت عوامل عدة في ضعف وجود اللغة العربية وعدم انتشارها بصورة مناسبة، أيام الاستعمار وبعد الاستقلال نجملها في الآتي:

(١) جهود المستعمرين في إقصائها وإضعافها بشتى الوسائل، مع بقاء لغاتهم إلى اليوم لغات رسمية للتخاطب والتعامل، وفرضها لغة للتعليم.

(٢) أن تعليم اللغة العربية كان مقصورًا على الزوايا والمحاضر والكتاتيب فلم ينتشر في المجتمعات بصورة مناسبة وواسعة.

(٣) أن اللغة العربية لا تُستعمل لغة للتخاطب والتحدث بين المتعلمين أنفسهم، كما في بقية المجتمع، بل يضطر المعلم إلى شرح الكتاب العربي باللهجات المحلية للتلاميذ.

(٤) ندرة الكتاب العربي وقلة انتشاره في أوساط المتعلمين وسائر المسلمين[١].

(١) التعليم الإسلامي في إفريقيا الواقع والتطلعات (ص: ٥) خالد عبد اللطيف، وانظر: مجلة قراءات، العدد الثاني عشر بتصرف بسيط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاستعراب والعرب
في غرب إفريقيا

لما جاء الإسلام كان لغرب إفريقيا حظ وافر من حركة الاستعراب، وكان للعرب مواطن جديدة خارج جزيرتهم خاصة في غربها؛ حيث امتد سلطان العربية امتدادًا. وكان الإسلام دستور حياة جديدة لا يتفاضل فيها العربي والعجمي بعرق أو لغة أو لون، وإنما بما يقر في القلوب وينعكس على الجوارح من تقوى الله. وتمهدت في ظل الدين الحنيف سبل التواصل، والتمازج بالمصاهرة بين الشعوب المختلفة، فنشأت سلالات جديدة اختلطت فيها دماء الإسلام تحمل بصماته الموحدة، فاستعربت أقوام نسبًا، أو انتسابًا أو لغة، لكن أقوامًا من العرب أيضًا تأفرقوا، انصهارًا في مجتمعات جديدة، اندمجوا فيها بعقلية المسلم يصل المسلم ويراه أقرب الأقربين.

ففي غرب إفريقيا الدول المجاورة لدولة موريتانيا[1]، امتزج الدم العربي الصنهاجي (الموريتاني العربي) بالدم الأفريقي منذ عهود بعيدة وحرصت شعوب وقبائل أفريقية احتضنت الإسلام على تأكيد نسبتها العربية، والارتفاع بها أحيانًا إلى أصول محددة، مثل الانتساب إلى الفاتح عقبة بن نافع الفهري، أو إلى أمراء أو أفراد نازحين من مصر أو سوريا أو الجزيرة العربية أو دولة ليبيا.

وينتسب انداديان انجاي، أول ملوك (والو) إلى أمير المرابطين أبي بكر بن عامر من زوجة أفريقية له. وينتسب التكارير والفلان المنتشرون حول ضفاف

(١) موريتانيا: امتزج فيها دم البربر والعرب والأفارقة فأوجد شعبًا مسلمًا، وموريتانيا أول دول غرب إفريقيا فهي تفصل بلاد المغرب العربي عن إفريقيا السوداء.

نهر السنغال، ومنها إلى نيجيريا، إلى أصول عربية. وهم مجموعة بشرية كبيرة ذات تاريخ عريق وإسهام جليل في نشر الإسلام والثقافة العربية .. وألوانهم فاتحة تميل إلى السمرة مما يرجح أن يكونوا ثمرة امتزاج عرقين: أفريقي وعربي، ومن هؤلاء قبيلة تعرف عند الشناقطة (الموريتانيين) باسم «أهل راشد» ويُعرفها التكارير، باسم (دمنتاب) نسبة إلى قرية من قراهم (دمت). وفي تراثهم الشعبي أن (دمت) هي تحريف لكلمة (دمشق) أو (دمياط) وأن أسلافهم نزحو من دمشق، ونزلوا أرض فلسطين ثم ارتحلوا منها إلى بورسعيد فالإسكندرية ثم ليبيا ثم تونس، ثم المغرب، ومنها افترقوا فرقتين: توجهت إحداهما صوب دولة مالي، فنزلت أرض ماسي وبها سموا ما سنة، وتوجهت الأخرى نحو مدينة شنقيط فمكثت بها أربع سنوات، ثم ارتحلت إلى «تندكسم» وضواحيها في أرض القبلة (جنوب موريتانيا) حيث مكثوا قرنًا، ثم امتدت رحلتهم شيئًا قليلًا باتجاه نهر السنغال فنزلوا دمت ومنها أخذوا اسمهم. وإلى الفاتح عقبة بن نافع الفهري، فيما يذكر، تنتسب أسرة «آل نياس» السنغالية، ذائعة الصيت، وهي التي ينحدر منها شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم نياس الكولخي. وكان والده الحاج عبد الله نياس من أجل علماء السنغال في عهده. وكان أخوه الحاج محمد نياس – وهو عالم جليل وشاعر فذٌّ – يقول: «نحن عرب سودتنا الأمهات»، ويستدل مادحهم بشمائلهم على عروبتهم.

أبناء انياس قد دلت شمائلهم بأن عنصرهم ينمي إلى العرب[1]. وقد زوج الشيخ إبراهيم نياس جُل بناته لعرب موريتانيين.

ولم يفتأ أعيان الموريتانيين يتزوجون من نساء إفريقيا ت، فالشيخ محمد المامي سنة ألف ومئتان واثنتين وتسعين هجرية تزوج مباركة بنت الشيخ عمر الفوتي.

(١) شنقيط المنارة والرباط (ص: ٢٦٣ – ٢٦٤) للخليل النحوي، وانظر: إفريقيا المسلمة (ص: ٢٤) للخليل النحوي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والشيخ أحمد حماه الله، وهو من أوسع مشايخ مطلع القرن العشرين الميلادي، أثرًا في إفريقيا ، وأصلبهم عودًا في مواجهة الاستعمار الفرنسي، ولد لأب عربي وأم فلانية[1].

ويذكر أن أحد أبناء الشريف سيدي إلياس الولاتي خرج إلى أرض السنغال وتزوج بها إحدى النساء الإفريقيا ت، فكانت جدة للعالم عبد الله دينغ (دينغ العالم)، والد المقرئ مودى مالك الذي دخل بلاد شنقيط (موريتانيا) موطن جده الأكبر، فأقام بها يدرس القرآن، في القرن الحادي عشر الهجري، وبرز من صلبه علماء كُثر. وقد تزوج أمير الترارزه (جنوب موريتانيا) محمد الحبيب بن أعمر أميرة والو الإفريقية جمبت، فولد له منها ابنه الأمير أعلى[2].

ومن شأن علاقات من هذا النوع، مدعومة بالهجرات البشرية المتصلة، أن تثمر في ذات الوقت حركتي استعراب وتأفرق. فقد «تأفرق» عرب كثيرون، نزلوا بلاد الأفارقة، فانصهروا فيهم، مندمجين كُليًا في البيئة الثقافية والاجتماعية الإفريقية أو مكونين وإياها سلالة جديدة، ذات خصائص مميزة.

وقد ذاب عرب بني كنز في دولة مالي، وكان السواحيليون والفلان والهوسة واليوروبيون مزيجًا – فيما يرى المؤرخون – من العرب والأفارقة، بحيث إن أقوامًا من العرب قد انصهروا في المجتمع الأفريقي الذي نزحوا إليه. وقد هاجرت أحياء عربية من موريتانيا إلى السنغال، فتوطنت هذا البلد. وكان منها أحياء من قبائل إدو لحاج والترارزة والبراكنة وإدوعيشي واكمليلن والمثلوثة وتاشد بيت والركاكنة، وطوائف أخرى من أولاد أبي السباع وكنته وادو علي والقلاقمة. وقد انصهر جُل

(١) شنقيط المنارة والرباط (ص: ٢٦٣ – ٢٦٤) للخليل النحوي، وانظر: إفريقيا المسلمة (ص: ٢٤) للخليل النحوي.
(٢) المصدر السابق (ص: ٢٥).

هؤلاء في المجتمع السنغالي، حتى فقدوا سحنتهم ولغتهم العربيتين، وتسموا أسماء محلية مثل دارمانكور (ومعناها الاتحاد) وسوغوفارا وداخومبا .... الخ.

هكذا كان الإسلام إكسيرًا لصهر المجتمعات ولم تكن حركة الاستعراب في غرب إفريقيا ، إلا مظهرًا لتعلق الأفارقة بهذا الدين الذي ساوى بين الناس، وألف بينهم في كنف الإخاء والمودة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أسباب انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا

كانت بلاد شنقيط (موريتانيا) لم تنل حظًا كبيرًا من العلم والمعرفة قبل قيام دولة المرابطين، بل ربما كانت في تلك الفترة وفي هذه المرحلة بلا مذهب معين لانعدام السلطة المركزية بشكل منتظم، وبسبب فتور التواصل الثقافي بين بلاد المغرب[1]، وبلاد شنقيط، التي لم يصل إليها بعد الفتوحات الإسلامية إلا التجار الذين حرفتهم البيع والشراء[2]. ولكن هذا الوضع تبدل سريعًا بعد قدوم عبد الله ابن ياسين إلى بلاد شنقيط، بعد أن اجتمع عليه نحو سبعين شيخًا يعلمهم ويفقههم في دينهم فانقادوا له انقيادًا عظيمًا، وأولوه برًا وتكريمًا، ولازموه مدة طويلة[3]، ومن الطبيعي أن يكون عبد الله بن ياسين هو الذي يعلمهم المذهب المالكي، باعتباره الدستور الرسمي للدولة المتفق على إنشائها مع أبي عمران الفاسي شيخ المالكية بمدينة القيروان، وتلميذه وجاج بن الزللو اللمطي السوسي، في مدينة نفيس، وتعميمه على مختلف الشرائح الاجتماعية القائمة في بلاد شنقيط، التي كانت تشبه إلى حد كبير طبيعة أهل الحجاز من حيث البساطة والبعد عن التعقيد، ولم يزل المذهب غضًا عندهم، ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما في غيره من المذاهب[4].

(١) تاريخ القضاء وكبريات النزاعات القضائية في موريتانيا (ص: ٧٦) لمحمدن ولد الحسن، وانظر: دعوة المرابطين في صحراء شنقيط (ص: ١١٥) لأحمد فال سيدي القلاوي.

(٢) الحلل الوشية (ص: ١٩) وانظر: دعوة المرابطين في صحراء شنقيط (ص: ١١٥) لأحمد فال سيدي القلاوي.

(٣) المصدر السابق (ص: ١١٥).

(٤) مقدمة ابن خلدون (ص: ٣٥١) لابن خلدون.

ولهذا فإن عقلية أهل شنقيط قد غلبت عليها نزعة أهل الحديث، وهذا كان من عوامل انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا ، ولقد تعزز المذهب المالكي مرة أخرى بعد انتصار المرابطين وقيام دولتهم وتوحيدهم تحت راية واحدة، عقيدتهم الإسلام، ومذهبهم مذهب الإمام مالك، ومن أول بلاد غرب إفريقيا وهي بلاد شنقيط بدأ المذهب المالكي يتغلغل إلى باقي بلاد غرب إفريقيا ، حتى إلى يومنا هذا المذهب في غرب إفريقيا ، هو مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى[1].

(١) انظر وقفات على بلاد شنقيط للمؤلف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العمل الخيري
في غرب أفريقيا

العمل الخيري هو نشاط يقوم به بعض الأفراد أو الجمعيات سواء المبعوثة من جهات مختلفة أو محلية، بهدف تقديم خدمات يحتاج إليها الناس، وهذا العمل يكون بدون مقابل، وهذا ما يميز العمل الخيري عن غيره من الأعمال ذات الصفة التجارية الربحية البحتة، وهذه الأفراد أو الجمعيات أو المؤسسات تقدم الدعم والمساعدة للأشخاص ذوي الحاجات المختلفة من طعام ودواء وكساء ومأوى.

والعمل الخيري هو تحقيق للخير ونشر التكافل والتضامن الاجتماعي بين الأشخاص، مما يؤدي إلى المحافظة على تعزيز دور القيم الدينية والأخلاق الحميدة في النهوض بالمجتمعات.

ويتميز العمل الخيري في الإسلام عن باقي الديانات الأخرى؛ لأنه يستمد مشروعيته من المصادر الأساسية للشريعة الإسلامية.

*** أهمية العمل الخيري:**

- يُفعل المشاركة بين الناس والتعاون في تقديم الخير للجميع.
- يعتبر العمل الخيري وسيلة من الوسائل التي تساعد على تقليل انتشار ظاهرة الفقر في المجتمعات.
- يحافظ على كرامة صاحب الحاجة، إذ لا يُرغم على سؤال الناس بأن يقدموا له مساعدة.
- يُدرب الإنسان على التخلص من الأنانية ويعزز من شعور العطاء.

- العمل الخيري من أهميته أنه لا يميز بين أشخاص وأشخاص.
- العمل الخيري يعمل على تنمية المجتمع ونجاحه.
- العمل الخيري يعمل على إتاحة الفرص لجميع أفراد المجتمع للمشاركة في عمليات البناء الاجتماعي والاقتصادي.
- العمل الخيري يعمل على تنمية الشعور الداخلي بالمسئولية تجاه ذوي الحاجة ويحفّزهم على العطاء.
- العمل الخيري يعمل على حماية المجتمع من انتقام المحرومين والمحتاجين.
- يعمل العمل الخيري على تربية الأفراد على البذل والعطاء ومشاركة الآخرين.
- العمل الخيري يعمل على تنمية العلاقات الأخوية التي تقوي المجتمع.
- العمل الخيري يعمل على إنقاذ عدد كبير من البشر، والوقوف على الأشخاص الذين يعانون من الحروب والكوارث الطبيعية، ومد يد العون لهم، وتقديم الطعام وتوفير الشراب والمسكن والدواء، وكذلك الاهتمام بتعليم الأطفال الأيتام.
- كذلك العمل الخيري يعمل على تقليل الإرهاب في المجتمعات.
- العمل الخيري يعمل على تقليل وانخفاض كبير في معدلات الفقر.

*** أنواع الأعمال الخيرية في غرب أفريقيا:**

تتعدد أنواع الأعمال الخيرية في غرب أفريقيا وهي تختلف من دولة إلى دولة وذلك بحسب حالة أولويات واحتياجات كل دولة، وهذه بعض أنواع الأعمال الخيرية التي رأيتها في بعض الدول في الغرب الأفريقي: بناء مساجد، وإنشاء مراكز ومدارس تعليمية، إنشاء معاهد، إنشاء مراكز لإيواء الأيتام، بناء مغاسل للأموات،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كفالة الدعاة سواء العرب أو الأفارقة، القوافل الدعوية، توزيع الكتب والرسائل الدعوية، حفر آبار للشرب منها، توزيع وجبات إفطار للصائمين، ذبح أضاحي وتوزيعها، توزيع ملابس وأموال.

*** معوقات العمل الخيري:**

عدم وجود مصادر تمويلية للمؤسسات الخيرية بصورة قوية خاصة في الأعمال الإغاثية.

سرعة تدخل المنظمات الغربية العاملة في هذا المجال ولا شك أنه ليس هناك أي منافسة أو توازن في هذا المجال.

التفكير بعقلية الشفقة على الفقير، فيحصر العمل الخيري في خانات اجتماعية محدودة.

قلة خبرة بعض العاملين في هذا المجال فهم في حاجة لدورات تدريبية في هذا العمل الخيري.

*** صور من العمل الخيري في غرب أفريقيا:**

لا شك أن غالب سكان غرب إفريقيا يعيشون على الرعي والزراعة والتجارة، ويتأثر رخاؤهم ووضعهم الاقتصادي بكميات المطر السنوية القليلة جدًا، زد على ذلك أن غالب هذه البلاد مُحاصر بغابات كثيفة وموحشة والتواجد في ميدان العمل الخيري – لله الفضل والمنة – متواجد وله أثره الطيب، وقد رأيت كثيرًا من المؤسسات العربية الإسلامية وبعض المجهودات الفردية الكثير سواء من دولة السعودية، والإمارات، والكويت، ومصر التي تقوم ببناء المساجد وبناء دور التعليم وحفر الآبار وكثير من المساعدات التي ينتفع منها النصراني والوثني والشيعي قبل المسلم خاصة في الدول التي تكون فيها غالبية السكان ليسوا مسلمين مثل دولة تغو وبنين

وسيراليون وغينيا بيساو وبعض الدول التي فيها غالبية ليست مسلمة، لأن غالب هذه الدول تعيش على شرب المياه من الآبار سواء في المدينة أو البوادي، وهناك ولله الفضل والمنة عمل طيب في هذا المجال مع التعاون والتنسيق مع الأخوة الأفارقة.

ولقد رأيت أعمالًا ينشرح لها الصدر وتقر بها العين في مجال العمل الخيري خاصة ما قام به رائد العمل الخيري عبد الرحمن السميط عليه رحمات الله في غرب إفريقيا، والذي يؤتى أُكله حتى يومنا هذا، خاصة المشاريع العملاقة كبناء المؤسسات العلمية الكبيرة في عواصم بعض دول الغرب الإفريقي، هذا الكيان الكبير الذي بناه عبد الرحمن السميط لبنة لبنة، وكذلك مؤسسة الندى والحكمة وآفاق ومسرات والرحمة والعون والبر والإخاء، والمنار.

وغيرها من الجهات الخيرية العاملة في هذا المجال وكثير من الأعمال الفردية التي لها أثر طيب

نسأل الله أن يبارك في جهود الجميع وأن ينفع بها المسلمين والمسلمات.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بوابة ألا عودة
وعصر النخاسة الكبير

لا شك أن الأوروبيين في القديم لم يكن لهم علاقة بإفريقيا إلا عن طريق البحر المتوسط، وفي القديم والحديث لا هم لهم إلا الاستيلاء على مقدرات الأمم مصداقًا لقول النبي ﷺ: «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَتَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَتَدَاعَى عَلَى الْقَصْعَةِ أَكَلَتُهَا**» الحديث[1].

ومن دافع الحاجة انطلق البحارة والمستكشفون الأوروبيون متوجهين إلى خوض غمار المحيط الأطلسي لاكتشاف الأرض الجديدة، وكان هذا في القرن التاسع الهجري الموافق الخامس عشر الميلادي، فلما اكتشفوا الأرض أقاموا عليها مراكز تجارية موسمية على سواحل المحيط الأطلسي في الغرب الأفريقي. ومع مرور الوقت أقاموا لهم مراكز في أعماق البر، وشهدت بعد ذلك موجات متعاقبة من المحتلين البرتغال والأسبان والهولنديين والفرنسيين والإنجليز وغيرهم. الذين كانوا يتنافسون في سباق محموم وغاشم على استغلال خيرات غرب إفريقيا الثمينة مثل الذهب والسمك والماس والمنجنيز والصمغ والملح... والأعظم من ذلك تجارة الرقيق.

لقد كان عصر الاستعمار الأوروبي لغرب إفريقيا ، عصر نخاسة، تحولت فيه إفريقيا لعدة قرون، إلى سوق كبيرة للرقيق، يتهافت ويتنافس عليها الأوروبيون في أبشع وأفظع حملة عرفتها البشرية لاستعباد الإنسان.

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧) وأحمد (٥/ ٢٧٨) والطبراني في الكبير (١٤٥٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٤٧).

ولقد حاول أعداء الإسلام من بعد أن يلصقوا بالعرب، في مبالغة مغرضة تهمة استرقاق الأفارقة، وأن يهولوا من شأن ظاهرة الرق التي واجهها الإسلام – منذ عصر الوحي – فشرع أحكامًا وقَعَّد قواعد للتحرر منها وإلغاء آثارها الاجتماعية وتبعاتها الاقتصادية.

ولم تكن الحملة على العرب وتهويل ظاهرة الرق عندهم إلا محاولة مستمرة إلى اليوم للفت نظر الأفارقة عن الجرائم البشعة والرهيبة التي ارتكبها بحقهم تجار المحيطات في عصور خلت، ولتشويه صورة العرب في إفريقيا والعمل على إقامة حاجز مصطنع من العقد النفسية بينهم وبين أشقائهم الأفارقة.

ومما يُدلل على ذلك أنك تجد التلميذ في دولة زائير مثلًا ما زال يتلقى إلى اليوم دروسًا تُرسخ في ذهنه وعقله صورة العربي الذي يتاجر بالإنسان الأفريقي الأسود – فيما يبدو – لا يتعلم موقف الإسلام من الرق، ولا يتعلم موقف الكنيسة في القرون الوسطى من استرقاق الأفارقة ولا حجم ومقدار الخسائر التي لحقت بالقارة، استرقاقًا واستنزافًا لخيرات البلاد، وإهانة للكرامة في عصر النخاسة الكبير[1].

بداية تجارة الرقيق:

وصل البرتغاليون إلى غرب إفريقيا سنة ألف وأربعمائة وأربع وثلاثين إلى شواطئ دولة موريتانيا، وبدأوا يسعون إلى ربط علاقات تجارية مع السكان، وفي سنة ألف وأربعمائة واثنتين وأربعين ميلادية دشنوا عصر النخاسة الجديدة باختطاف رجلين من موريتانيا فكان أول ضحايا الرق في الحملة البرتغالية.

وفي سنة ألف وأربعمائة وأربع وخمسين ميلادية شرع البابا نيقولا الخامس سيطرة البرتغاليين على الشواطئ الأفريقية، مباركًا بذلك تجارة الرقيق، التي لم تلبث أسبانيا أن بدأت تنافس دولة البرتغال عليها، فتدخل البابا الإسكندر السادس لحسم الصراع برسم خط على الخريطة يوزع مناطق النفوذ بين القوتين البحريتين.

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ٨٦ – ٨٧) للخليل النحوي، بتصرف بسيط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبمباركة الكنيسة استقطبت تجارة الرقيق اهتمام الدول الأوروبية الأخرى، ومن هنا تكونت شركات إنجليزية وفرنسية مختصة بتجارة الرقيق، ترعاها الحكومة.

وفي خلال عشر سنوات تمكنت الشركات من عمل مئتين وتسع وخمسين رحلة بحرية حملت خلالها ستة وأربعين ألف وثلاث مائة وست وتسعين زنجيًا إلى عالم العبودية وهكذا أقر البرلمان الإنجليزي سنة ألف وستمائة وسبع وتسعين ميلادية تجارة الرقيق، وكانت النتيجة مُشجعة بالنسبة لهم، فقد استطاعت الشركات الخاصة، خلال سنتين فقط، تصدير اثنين وأربعين ألف زنجي إلى دولة جامايكا.

وكان أولئك المختطفون ينقلون من جزيرتي غورية وكارابان بالسنغال وغيرهما في ظروف قاسية، مكدسين بكميات كبيرة، كما تكدس البضائع لتصل السفينة إلى غاية حمولتها. وكانت السفينة مجهزة بسلاسل الحديد وغيرها من وسائل التعذيب والإهانة، فكانت أعداد كبيرة من المستعبدين تهلك في الطريق، أما الذين يصلون سالمين فإنهم يُفرق بينهم، حتى يفصل ذوو القرابة عن بعضهم البعض، ويجردون من أسمائهم إمعانًا في تجريدهم من أبسط خصائص الإنسان، ثم يُستخدمون في العمل في المزارع والخدمة المنزلية والأعمال الشاقة، وقد تحدث الكاتب الزنجي ألكس هيلي في كتابه «الجذور» عن رحلة العذاب هذه، كما روتها له جدته ... وكان جده كونتا كنتي (وهو مسلم) قد اختطفه أربعة من صيادي الرقيق الأبيض.

وهكذا كانت السنغال في القرن السابع عشر الميلادي تصدر معدل خمسين ألف عبد سنويًا إلى العالم الغربي، وفي القرن الثامن عشر الميلادي كان شاطئ (الذهب) وهو موقعه الآن دولة غانا يصدر نحو خمسة عشر ألف سنويًا، وقد بيع ما يقرب من ثلثمائة وسبعين ألف عبد على شواطئ دولة النيجر خلال عشرين سنة. وقد قيل إن

تجارة الرقيق هذه كلفت إفريقيا ما يقرب من عشرين مليون شخص، وكان واحد من كل تسعة أو خمسة أفراد يموت في الطريق لسوء الظروف وقسوة المعاملة، وقد عدد بعض الكُتَّاب الأفارقة آثار الحملة الأوروبية لاسترقاق الأفارقة، فيذكر منها:

حرمان القارة الإفريقية من بعض الكفاءات الثقافية النادرة التي كانت تمتلكها آنذاك، حيث كان من المستعبدين طائفة من المسلمين الذين يكتبون اللغة العربية ويقرؤونها جيدًا، في عهد من أحلك عهود الجهل والأمية في القارة، وقد تحدث ولبرمورس عن شحنة من الزنوج تشمل مائة وثلاثين فردًا، بينهم خمسة وعشرون يكتبون العربية(١).

ويشهد لذلك أن مكتبة هارفارد تتضمن خمسة أو ستة مخطوطات عربية لأفارقة استُجلبوا من غرب إفريقيا ، كذلك في أطلنطا كان كل أسود يتعلم الكتابة يُعاقب ببتر يده اليمنى.

- **ومنها**: استنزاف القوى النشطة في القارة، فقد كان تجار الرقيق يتركون الشيوخ والأطفال، ويصدرون تعليمات صارمة بانتقاء الشبان الأقوياء والفتيات الصغيرات، وهم القوة المنتجة النشطة في المجتمع، وبذلك تضررت الزراعة الإفريقية التي تحتاج لمثل هؤلاء.
- **ومنها**: وهو الأعظم حرمان هؤلاء الناس من نعمة الإسلام، والضرر العظيم الذي لحق بأبنائهم وأحفادهم حيث تحول كثير منهم إلى اعتناق النصرانية.
- **ومنها**: إثارة العنف وإذكاء نار الحرب بين القبائل الأفريقية، بل وبين أفراد القبيلة الواحدة.
- يقول برونور بوفعورج: معترفًا: «لقد تحولت هذه الشعوب الإفريقية بسبب جشعنا الإجرامي، إلى حيوانات شرسة».

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ٨٨) للخليل النحوي، بتصرف بسيط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- إنهم يقتتلون ويدمر بعضهم بعضًا لا لشيء إلا للسيطرة على إخوان لهم يسلمونهم بيعًا إلى أسياد همج يسترقونهم (التجار الأوربيين) وينظر الملوك (الأفارقة) أنفسهم إلى رعاياهم كما لو كانوا مجرد سلعة يصرفونها في إشباع نزواتهم، وبذلك فقد الأفارقة هويتهم وإنسانيتهم(١).
- ويخلص كيزربو إلى أنه من المستحيل موضوعيًا مقارنة تجارة الرقيق عند العرب بتجارة الرقيق عند الأوربيين، ذلك بأن الأولى تتم بوسائل هائلة (سفن، حملات جماعية، شركات ترعاها الدولة أو تشجعها).
- وفي بحث علمي موثق يؤكد يوروفال الأستاذ بجامعتي دكار والسوربون، أن ربط حركة الرق في إفريقيا بالإسلام لا يستند إلى أي أساس من الموضوعية، مشيرًا إلى جملة من الحقائق.
- **والتي منها:** لم يكن الرق السائد في الجزيرة العربية منذ ما قبل الإسلام موجهًا ضد السود وحدهم، وإنما كان هناك أرقاء بيض أو شُقر ... الخ «نضيف من العرب أنفسهم أحيانًا .. ولهذا فليس للرق الذي عرفته المجتمعات العربية، ثم المسلمة فيما بعد، أي طابع عرقي عنصري.
- **ومنها:** منذ ظهور الإسلام لم تعد وضعية الرق، وسواد اللون حائلًا دون تقدم الإنسان في السلم الاجتماعي. وحسبنا مثلًا أن نذكر بلالًا الحبشي، أول مؤذن في الإسلام، وغير بعيد من ذلك المكانة الخاصة للشاعر الفارس الجاهلي عنترة بن شداد في التراث العربي الإسلامي وذكراه الحية إلى اليوم، وحسبك من الجاحظ الذي يعتبره البعض أكبر كاتب عربي، كان إفريقيا ».
- **ومنها:** عرفت المجتمعات الأفريقية، الرق والتمايز الطبقي قبل الإسلام، بل قبل ميلاد عيسى عليه السلام بقرنين من الزمن، في ضوء ما أثبتته البحوث الأثرية والاكتشافات العلمية المترتبة عليها في مناطق حول نهر دولة غامبيا.

(١) مسألة الرق في إفريقيا (ص: ٦١).

- **ومنها:** تحدث المؤرخين العرب القدامى، وخاصة أبو العباس أحمد اليعقوبي عن الرق الذي مارسه على حد سواء بعض المسلمين وبعض الأفارقة غير المسلمين (سودان يبيعون سودانًا، بلا حرب تقتضي ذلك)، دون مراعاة أحكام الشريعة[1]، وهذه شهادات بعض الغربيين القدماء حول طبيعة الرق الذي عرفته المجتمعات العربية (ليتضح بالمقارنة الفرق بين المنزلي والرق الاقتصادي «المؤسسي» الذي ساد في المجتمعات الغربية).

فقد لاحظ الرحالة البرتغالي دورات بارباسا في أوائل القرن السادس عشر الميلادي أن حالة الرقيق في شرق إفريقيا كانت تدل على ما لمالكيهم من العرب من إنسانية حتى ليعجز المرء أحيانًا أن يميز الرقيق عن مالكه، إذ يبيح هؤلاء لهم (والواقع أن الشرع هو الذي يفرض وليس يبيح فقط) أن يقلدوهم في الملبس وفي غيره من شؤون العيش.

ويؤكد الرحالة بورشارت أن الرق في بلاد العرب ليس فيه ما يخيف ويفزع إلا اسمه، فالقوم في كل مكان يعاملون الرقيق كما يعاملون أبناءهم. ومن الخسة عندهم أن يبيع الرجل العبد بعد عشرة طويلة، وقل أن نجد عبدًا خدم أسرة محترمة فترة طويلة من الزمن ولم ينل حريته، وغالبًا ما تعتق الأمة إذا ولدت لسيدها طفلًا، وينزلها الزوج على قدم المساواة مع نسائه العربيات، كما كان يباح للرقيق حضور مجالس الأسرة ويسمح لهم بالتجارة أو بالأشغال الأخرى لحسابهم الخاص.

وفي أوائل القرن العشرين الميلادي يلاحظ أرنولد ولسن أن ثمة بونًا شاسعًا بين حالة الرقيق قبل انتقالهم من مواطنهم الأصلية وحالتهم بعد دخولهم إلى حوزة العرب، فبعد الظروف القاسية التي تصاحب عملية نقلهم أو الحصول عليهم تتغير حالتهم إلى الأفضل بمجرد انتقالهم أو بيعهم إلى العرب. ومع تقديره لصعوبة

(١) مسألة الرق في إفريقيا (ص: ٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحياة التي يحياها الرقيق في ظل الاسترقاق إلا أنها كانت بكل تأكيد أقل شقاء من حياة رجل القبيلة الأفريقية.

أما برتراند توماس فيؤكد بإيجاز أن معاملة العرب للرقيق قد قضت على وصمة العار التي لا زمت الاسترقاق في المناطق الأخرى(١).

ولا بد من التعقيب على هذه الشهادات بملاحظتين:

أولهما: أن الرق لم يكن ظاهرة عربية صرفًا، وإنما كان كما هو معلوم نمطًا من أنماط العلاقات الاجتماعية ساد في مراحل معينة من تطور المجتمعات المختلفة، بما فيها المجتمعات الإفريقية ذاتها وقد مر بنا أن الأفارقة وبتحريش وإغراء من النخاسين الأوروبيين، كانوا يسترقون بعضهم.

ويذكر آدم عبد الله الألوري أن بعض القبائل في دولة نيجيريا ترى أن كل قبلية أخرى عبيد لها، فمن الهوسا طائفة يرون أنفسهم أحرارًا ويعتبرون بقية الهوسا عبيدًا لهم، كما يستهينون باليوريا (قبيلة أخرى) ويسمى قبيلة البرناويون غيرهم (عفنون) أي عبيد(٢).

وفي العهود القديمة قامت دول أفريقية مثل دولة غانا، ودولة مالي ودولة السنغال على تجارة الرق تجارة رابحة ويذكر أن زعيمًا من زعماء غرب إفريقيا قد حج مرتين في القرن الثاني عشر الميلادي وترك في كل مرة ثلثمائة عبد في القاهرة، وكانت بعض القبائل في القرن السادس عشر الميلادي تقايض العبيد بخيول شمال إفريقيا ، وقد تركت أم في إحدى القبائل في القرن السادس عشر الميلادي لولدها عشرة آلاف عبد ورثها عنها(٣).

إن هذه المعطيات لا تبرر البتة ممارسة بعض العرب لتجارة رق غير مشروعة

(١) العرب والرق في إفريقيا (ص ٢٢ – ٢٣) لجمال زكريا.
(٢) الإسلام اليوم وغدًا في نيجيريا (ص: ٩٦) للألوري.
(٣) المصدر السابق (ص: ٩٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولا تُحمل الأفارقة أوزار النخاسة الأوربية، ولكنها تضع الأمر في نصابه التاريخي والاجتماعي، وتؤكد أن الرق في إفريقيا ليس ظاهرة عرقية صرفًا أو نمط استغلال عربيًا خالصًا عكسًا لدعاوى أعداء الإسلام.

وسيظل الرق الأفريقي عربيًا أو غير عربي ومهما اتسعت ممارساته أهون شأنًا وأخف وطأة من الرق الأوروبي الذي قامت عليه الدول وأنشئت له المؤسسات وسخرت له أحدث وسائل النقل وأعتى أدوات الإذلال آنذاك، خاصة وأن الغربيين يتحملون على أوزارهم الخاصة وزر تنمية الرق في إفريقيا كما نبه على ذلك برونود وكيزربو.

الملاحظة الثانية: هي أن الإسلام مهد منذ عصر البعثة النبوية طريق الانعتاق أمام الأرقاء ... فقد كان الرق ظاهرة متفشية أيام البعثة النبوية، فنزل القرآن وتواترت الأحاديث النبوية تدعو لعتق الأرقاء، تكفيرًا لما قد يقع فيه الإنسان من الذنوب أو تقربًا إلى الله ابتغاء مرضاته. وسد الإسلام منافذ الرق فلم يدع له بابًا إلا باب الجهاد وبشروط أهمها أن يكون الرقيق أسير جهاد مشروع ضد الكفار الذين يحاربون المسلمين ويسترقون من يقع في أيديهم منهم (وتلك معاملة بالمثل لا عدوان فيها إلا على الظالمين) وفتح الإسلام لأولئك الأسرى إذا استرقهم المسلمون أبوابًا أخرى للانعتاق.

قال تعالى: ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً** ﴾ (محمد: ٤).

فباستطاعة الأسير أن يفتدي من الأسر ومن الرق بمال يُعطيه أو يُعطى عنه. وباستطاعة العبد أن يكاتب سيده فيكسب حريته بالتدريج. وقد رغب الإسلام في التسرى بالإماء وفي عتقهن وفي اتخاذهن زوجات، لينتقلن بذلك من ذل العبودية

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى شرف الزوجية وترتفع عنهن وعن ولدهن طائلة الرق، وسن رسول الله ﷺ ذلك للمسلمين عندما تسري بمارية القبطية التي أهداه إياها المقوقس عظيم القبط، فولدت له ابنه إبراهيم.

وكان الأرقاء من أسرع الناس إلى الإسلام عند ظهوره، فوجدوا في كنفه الحرية التي افتقدوها طويلاً، وتقدم عدد منهم في السلم الاجتماعي الجديد الذي رتبه الدين الحنيف على كبراء كانوا سادتهم من قبل، وهكذا نجد أبا بكر يعتق بلال بن رباح – وكان عبدًا حبشيًا – ليتحول بعدُ إلى صوت يدعو إلى الصلاة خمس مرات في مسجد رسول الله ﷺ، وتبنى رسول الله ﷺ فتاه زيد بن حارثة تشريفًا له وزوجه سيدة من سيدات قريش، من بيوتات العز فيها – زينب بنت جحش – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان زيد هذا الصحابي الوحيد الذي ذكره الله باسمه في القرآن: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ (الأحزاب: ٣٧)، ورفع الله حكم التبني ليتاح لرسول الله ﷺ مكافأة زينب على طاعتها لأمر الله ورسوله، وقبولها الزواج من مولى لم تكن تقاليد المجتمع الجاهلي تخول مثله حق التطلع إلى مثلها، فتزوج النبي ﷺ زينب: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (الاحزاب: ٣٧).

وكان أسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه، وهو حينئذ فتى حديث السن، أميرًا على آخر سرية جهزها رسول الله ﷺ في حياته، وكان فيها أكابر الصحابة مثل الخليفة أبي بكر بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

وأين هو من موقف البروتستانت، في جنوب إفريقيا ، الذين يرون أن السود يظلون عبيدًا حتى ولو تنصروا؟[1].

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ٩٤) الخليل النحوي.

لقد لعبت الإرساليات التنصيرية (دورًا بالغ الأهمية في ترويج الدعاية لنقل زنوج إفريقيا إلى «العالم الجديد» تحت ستار تنصيرهم ونقلهم إلى الديانة النصرانية.

وتحت ستار الدين استطاع تجار العبيد ترويج تجارتهم، وظفروا بتأييد الكنيسة، كما ظفروا بتأييد ملوك أوروبا، وكان السبب الأعمق وراء موقف الكنيسة والإرساليات التنصيرية يكمن في المصلحة المادية لها والتي بررت من أجلها استرقاق زنوج إفريقيا ، فقد أغراها تجار العبيد بالمال وجعلوا لها رسمًا عن كل زنجي تعمده فيتنصر بالتعميد»..

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، صدر سنة ألف وستمائة وثمان وثلاثين ميلادية بمستعمرة كارولينا قانون يؤكد أن الزنجي لا روح له، ولا يتمتع بالذكاء أو الإرادة، وأن الحياة فيه محصورة بيديه، وجعل القانون لمالك الزنجي سلطة مطلقة عليه يتصرف به كما يشاء، بيعًا ورهنًا ومقامرة ولا عقوبة عليه في حال إقدامه على قتل الزنجي الذي بحوزته، وبالمقابل يصدر حكم الإعدام فورًا على الزنجي إذا عصى أوامر سيده أو زوجة سيده، أو ضرب أيًا منهما أو قتل إنسانًا أبيض البشرة حتى ولو في حالة الدفاع عن النفس.

ورفض القانون مجرد استدعاء الزنجي للشهادة لأن كلامه مرفوض ولا تقوم له شهادة. وأنكر القانون على الزنجي حمل السلاح تحت طائلة عقوبة الإعدام الفوري.

وحظر عليه مغادرة مزرعة سيده دون إذن خطي تحت طائلة الإعدام أيضًا، وأعطى الحق لكل رجل أبيض أن يعيد الزنجي إلى طاعة سيده بعد جلده عشرين جلدة. وللمالك الحق القانوني بالاستمتاع بزوجة الزنجي أو ابنته أو أية زنجية عاملة لديه».

لقد أخضعت أوروبا والأمريكتان الأفارقة لأبشع استرقاق تقوم عليه الدول والمؤسسات وتسن القوانين لإحكامه، استنادًا إلى دعاوى عرقية تجزم بتفوق

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإنسان الأبيض على الإنسان الأسود، أو دينية بحجة أن التوراة «أمرت العبرانيين باستعباد جميع الشعوب المجاورة لهم، وأن الاسترقاق في نظر رجال الدين النصراني كان مؤسسة يقضي الواجب الديني ببقائها»[1].

وكأن مونتسكيو في كتابه «روح الشرائع» قد التمس عذرًا لقومه في ممارسة أنماط بشعة من الرق ضد الأفارقة حين قال إن هؤلاء الأرقاء «سود من الأرجل حتى الرأس، وهم من قصر الأنوف بما يتعذر معه الرثاء لهم»..!

لقد ترجم مونتسكيو بحياء النظرة السائدة التي زرعها المستكشفون الغربيون الأول عن إفريقيا «حيث الرجال المتوحشون والنساء المتوحشات. لأكثرهم لون أسود وأنوف مفلطحة وشعر يشبه الصوف. أما طبيعتهم فمتوحشة وتشبه طبيعة الحيوانات الضارية[2] إن أثرًا من آثار تجارة الرقيق الأفريقي لا يزال حيًا إلى اليوم، تقرؤه سوادًا على بياض، في معاجم اللغات الغربية وأدبياتها، فقد شحنوا كلمة السواد ومتفرعاتها بأسوأ الدلالات، أو لنقل إن نظرة البغضاء والاحتقار التي ينظرون بها إلى السود افتضحت في حديثهم عن شؤون الحياة .. تجد أنهم يصفون بالسواد ما يستهجنونه ويشمئزون منه:

(القائمة السوداء، والسوق السوداء). وقد نجد لها نظائر قليلة، لكن العربية حافلة بالأدب الذي يمجد السواد، ويقرن بينه، غزلًا، وبين المسك، ويتغنى بدعج العينين، ومنه شدة سواد سوادهما، وقد كتب الجاحظ رسالته في الثناء على السودان بعربية رفيعة، وحفظ أولاد العرب والمسلمين جيلًا بعد جيل فخر عنترة العبسي بسواد جلده يقول رجاء غارودي: «إن الحضارة العربية أدخلت الرق نمطًا إنتاجيًا لأول مرة في تاريخ إفريقيا ..، وإن الغربيين بعد أن قضوا على الهنود الحمر في

(١) موقف الرأسمالية من الرق (ص: ١٤٦ – ١٤٧) د/ مسعود طاهر.
(٢) المصدر السابق (ص: ١٥٧-١٥٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أمريكا بدأوا وواصلوا خطف السكان الأصليين في إفريقيا طوال ثلاثة قرون واسترقاقهم ودفنهم في العمل بالمناجم الأمريكية في مأساة إنسانية كبرى قضى فيها تسعون مليونًا من المختطفين الأفريقيين نحبُهم ووصل عشرة ملايين تحت ظروف قاسية إلى مواقع العمل في أمريكا ..، إننا لا نستطيع أن نقارنها بالمذابح التي اتاحت لجنكيزخان بناء أهرام من بضعة آلاف من الجماجم البشرية ... إنه عمل صانع يدوى إذا قسناه بالجريمة التاريخية العظمى التي اقترفها الغرب ...، إنني أذكر كيف شعرت فجأة بعار الإنسان الأبيض وكأنه حمل ثقيل مذل على كتفي عندما زرت في جزيرة «غورية» بمقابل دكار الحجيرات التي كان الأسرى يُكدسون فيها قبل الإقلاع ولا تزال آثار الدم الأسود مرسومة على الجدار، وهي تُشير حتى الآن إلى المكان الذي كان النخاسون يحددونه لكل إنسان في ذلك الجحيم ...، جلي إذًا بالرغم من ضروب تقريظ الغرب المنافق أن مسؤولية الرق لا تقع على عاتق الأفارقة، أولًا لأن الرق لم يكن البتة طراز إنتاج في إفريقيا قبل وصول الأوروبيين، وثانيًا، لأن مؤسسة تجارة العبيد اصطدمت بمقاومة الأفريقيين[1].

ونسوق شاهدًا على ما سبق: جهاد الإمام ناصر الدين الذي قاد حركة قبائل الزوايا العرب لإقامة خلافة راشدة في جنوب موريتانيا، فقد بسط ناصر الدين – وإن لم تعمر حركته طويلاً، نفوذه على مناطق من نهر السنغال وضايق الفرنسيين في تجارتهم ومنع منعًا باتًا تجارة الرقيق. وفي ذلك يقول شاهد الفرنسيين د. شامبونر: مدير الشركة التجارية الفرنسية «باندر» إن رجال الدين (ناصر الدين وقومه) «يزدروننا كثيرًا بسبب الاختلاف بين «ديننا وشعوذتهم» ويوهمون شعوبهم أننا لا نشتري العبيد إلا لنأكلهم، ومنذ أن أصبحوا سادة في البلاد (في القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي) فإن عبدًا واحدًا لم يدخل إلى سفينتنا[2] وهكذا

(١) المذهبية الإسلامية (ص: ٤٥ -٤٧) لمحسن عبد الحميد.
(٢) شنقيط المنارة والرباط (ص: ٣٠٥) للخليل النحوي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كانت تجارة الرقيق في عين هؤلاء جزءًا من الدين، وكانت مقاومتها ضربًا من الشعوذة.

وورد في تقرير عن مستعمرة دولة سيراليون عرض على مجلس العموم البريطاني سنة ألف وثمانمائة واثنتين ميلادية أن جماعة صغيرة من المسلمين استقرت شمال سيراليون منذ سبعين سنة، وأنهم فتحوا مدارس تُدرس فيها العربية والعقائد التي جاء بها محمد ﷺ وجروا على عادة المسلمين في عدم بيع أبناء دينهم بيع الرقيق»[1].

وقد ظل المسلمون الأفارقة الذين وقعوا في أيدي قراصنة النخاسة أوفياء لروح الإسلام، متشبثين بالحرية ... لذلك نجدهم يقودون ثورتين للأرقاء خلال القرن الثامن عشر الميلادي في سان دومينيك، وقد ثارت مجموعة أخرى من الأرقاء المسلمين، الذين كانوا يقرؤون العربية ويكتبونها، فأسست سنة ألف وثمانمائة وخمس وثلاثين ميلادية جمهورية بالماريس بشمال البرازيل، واتخذت باهيا عاصمة لها. وكان ذلك تنبيهًا آخر إلى أن الإسلام هو دين الحرية والانعتاق قبل أن تنتهي البرازيل سنة ألف وثمانمائة وثمان وثمانين ميلادية فتعلن إلغاء الرق وتقوم بإحراق وثائق تجارته دعمًا لقرارها ولتخفى آثار الفضيحة.

(١) العالم الإسلامي والاستعمار (ص: ٣٧٢) لأنور الجندي.

الوجود الإسرائيلي في غرب إفريقيا

بدأت علاقة إسرائيل بإفريقيا عمومًا في سنة ألف وثمانمائة وسبع وتسعين حين عقد أول مؤتمر صهيوني بمدينة بازل بسويسرا، حيث برزت في صدارة أعماله اتخاذ دولة أوغندا وطنًا قوميًا لليهود بجانب الأرجنتين وفلسطين، إلى أن قرر المؤتمر الصهيوني السادس في بازل سنة ألف وتسعمائة وثلاث رفض مشروع أوغندا. ومع ذلك فالقارة الإفريقية مثلت ومازالت أهمية كبيرة بالنسبة للاستراتيجية الإسرائيلية والسبب في ذلك كثير من الدوافع.

والتي منها: حاجة إسرائيل للاعتراف بها كدولة من قبل الدول الإفريقية لكسب الشرعية السياسية والقانونية.

فقد صوتت دولة ليبيريا لصالح تقسيم فلسطين، وكانت ثالث دولة تعترف بإسرائيل، بعد أمريكا والاتحاد السوفياتي، بينما كانت دولة غانا ثاني دولة إفريقية تعترف بإسرائيل.

وفي سنة ألف وتسعمائة وثماني وخمسين استغلت إسرائيل أفق الاستقلال المفتوح أمام الدول الإفريقية فأعلنت «برنامج المساعدة الإسرائيلية لإفريقيا» ولم يكن هذا البرنامج في حقيقته إلا أداة للتغلغل السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي في القارة، حققت بها إسرائيل أكبر نجاح لها في دولة ساحل العاج ودولة غانا ودولة بنين ودولة نيجيريا وغيرها من بلاد غرب وشرق ووسط إفريقيا.

وشهدت دولة ليبيريا سنة ألف وتسعمائة وتسع وخمسين توقيع أول اتفاقية صداقة إسرائيلية[1].

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ١٤٥) للخليل النحوي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي مطلع الستينيات كان لإسرائيل ست بعثات دبلوماسية في إفريقيا. وبعد سنة واحدة ارتفع هذا العدد إلى ثلاث وعشرين بعثة[1] وقبل أن تندلع حرب يونيو حزيران ألف وتسعمائة وسبع وستين كانت إسرائيل قد نجحت في إقامة علاقات دبلوماسية مع واحد وثلاثين دولة إفريقية، وتوقيع اتفاقيات (تعاون) مع عشرين دولة. وفي السنوات الموالية للحرب التي احتلت فيها أراضي إفريقية وعربية لم ينخفض عدد البعثات الدبلوماسية الإسرائيلية في القارة، بل نجد هذا العدد يصل سنة ألف وتسعمائة واثنتين وسبعين إلى ثلاث وعشرين بعثة[2].

وإلى غاية سنة ألف وتسعمائة وسبعين كانت إسرائيل مرتبطة باتفاقيات (تعاون) مع كل من ساحل العاج وغنيا وغامبيا وغانا وليبيريا ومالي والنيجر وسيراليون وتوغو وغيرها من دول شرق ووسط إفريقيا حتى عززت نشاطها الرسمي بالقادة الأفارقة ذوي الميول الاشتراكية الإصلاحية[3].

- ومنها: العمل على عزل الدول العربية عن باقي دول إفريقيا لمنع قيام تكتل عربي إفريقي ضد إسرائيل.

وهذا ما أكده (شكومو أفنيري) مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلية سنة ألف وتسعمائة وخمس وسبعين ميلادية قائلًا: «إن الأهداف التي كنا نتوخاها من وراء توطيد العلاقات مع الدول الإفريقية هي كسب صداقة هذه الدول من أجل الخروج من العزلة السياسية، والحيلولة دون قيام معسكر أفريقي معادٍ يقف إلى جانب العرب في نضالهم السياسي ضد إسرائيل[4].

وعليه فقد ظهرت إفريقيا بوصفها النموذج المناسب أمام صانع القرار

(١) العرب وإفريقيا (ص: ٣٢٨) لحلمي شعراوي.
(٢) المصدر السابق (ص: ٣٢٨).
(٣) شنقيط المنارة والرباط (ص: ٤١٥)، وانظر إفريقيا المسلمة (ص: ٧٤١) للخليل النحوي.
(٤) السياسة الارتيرية في البحر الأحمر، (ص: ١٢) منى أحمد إبراهيم.

الإسرائيلي، حيث مثل مؤتمر باندونج في سنة ألف وتسعمائة وخمس وخمسين ميلادية البداية الحقيقية للتحول الإسرائيلي نحو إفريقيا، فعملت إسرائيل بعد المؤتمر بمدة قصيرة على وضع استراتيجية شاملة طويلة المدى للتغلغل في القارة الأفريقية.

ومن ثم؛ فالقارة الإفريقية مثلت – وما زالت – أهمية بالغة بالنسبة للاستراتيجية الإسرائيلية، ويكفي هنا الإشارة إلى حديث رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق ديفيد بن غوريون في الكنيست الإسرائيلي عام ألف وتسعمائة وستين لتتضح لنا تلك الأهمية، حيث قال: (الصداقة الإسرائيلية الإفريقية تهدف أولًا إلى تحييد إفريقيا عن الصراع العربي الإسرائيلي، كما تهدف في أحسن حالتها إلى ضمان مساندة إفريقيا للمواقف الإسرائيلية)[1].

وقد أسهمت كلٌ من بريطانيا وفرنسا بدور كبير في تمهيد الطريق لهذا التغلغل الإسرائيلي في المستعمرات الإفريقية التي كانت تحت سيطرة كل منهما، حيث قامت بريطانيا بجعل دولة سيراليون نقاط ارتكاز لإسرائيل في إفريقيا ، وسمحت لها بإقامة قنصليات فخرية في هذه المستعمرات قبل استقلالها وتحولت هذه القنصليات إلى سفارات إسرائيلية بعد استقلالها من المحتل[2]، أما فرنسا فقد فتحت لإسرائيل حرية العمل في ميناء جيبوتي وميناء داكار في السنغال لدعم نشاطها، وسمحت لها بإقامة علاقة وثيقة مع مستعمراتها في كل دول إفريقيا كما حدث في دول ساحل العاج.

ومن جانب آخر؛ فقد عمل الاستعمار الغربي على تقديم دولة الكيان الصهيوني إلى الأفارقة بوصفها دولة تعاني التمييز العنصري، تمامًا كالأفارقة الذين يعانون التمييز بسبب لونهم، في حين عمل على إعاقة النشاط العربي وشوه صورة العرب بوصفهم أحفاداً لتجار الرقيق في إفريقيا .

(١) السودان والنيل بين الانفصال والتراث الإسرائيلي (ص: ١٣٢) عايدة العلي.
(٢) تطور الاستراتيجية الإسرائيلية (ص: ٩) محمد النحال.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هكذا بدا الطريق سالكًا وممهدًا أمام التغلغل الإسرائيلي في غرب إفريقيا ثقافيًا واقتصاديًا وعسكريًا.

أما على المستوى الثقافي فقد اهتمت إسرائيل اهتمامًا خاصًا ببرامج التدريب والتكوين، ليكون لها دور متميز في صناعة عقول الأفارقة والتأثير بواسطة خريجي مدارسها على مجرى الحياة العامة في غرب إفريقيا .

وقد أنشأت إسرائيل مراكز خاصة عهدت إليها باستقطاب الطلبة الأفارقة، وإعدادهم لاستلام مهام قيادية في بلادهم، وكان من هذه المراكز معهد الدراسات الأفرو- آسيوية، الذي أسس بتل أبيب سنة ألف وتسعمائة وستين، ومركز الخدمات العامة الذي أسس في حيفا سنة ألف وتسعمائة واثنتين وستين، واختص في استقبال النساء الإفريقيات(١).

وكان برنامج تدريب الطلبة الأفارقة قد بدأ قبل ذلك، كما رأينا، وفي سنة ألف وتسعمائة وتسع وخمسين بلغ عدد الطلبة والمتدربين الأفارقة في إسرائيل مئتين وخمسين شخصًا، وقد ازداد هذا العدد زيادة بينة في السنة التالية ألف وتسعمائة وستين، حيث أنهى ثمانمائة متدرب، منهم نسبة كبيرة من الأفارقة دورات نظمها لهم الهستدروت. وفي سنة ألف وتسعمائة وخمس وستين كان عدد الطلاب والدارسين الأفارقة في إسرائيل قد بلغ ألفًا ومئتي شخص، وفي تقرير قدمه رئيس الوزراء الصهيوني أشكول إلى البرلمان الإسرائيلي (الكنيست) سنة ألف وتسعمائة وست وستين، نرى أن ستة آلاف وثلاثمائة إفريقي قد أنهو تدريبهم في (إسرائيل) بينما كان ثلثمائة إفريقي يواصلون دراستهم في العام ذاته.

وفي الفترة ما بين ألف وتسعمائة وثمان وخمسين إلى ألف وتسعمائة وتسع وستين

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ١٤٧) للخليل النحوي بتصرف بسيط.

استقبلت إسرائيل ثلاثة عشر ألفًا وخمسة وعشرين متدربًا من بلاد نامية، كان من بينهم ستة آلاف ومئتان واثنان وسبعون إفريقيًا[1].

واهتمت إسرائيل اهتمامًا خاصًا بتعليم العبرية في إفريقيا بحجة (الفهم المتبادل للثقافات والعادات) ونظمت دورات دراسية لتعليمها في بعض البلدان الإفريقية مثل نيجيريا.

وكان هذا النوع من الدورات، خارج إسرائيل، حلقة في برنامج يقضي بتكثيف الحضور البشري الصهيوني في غرب إفريقيا.

وكان هذا الحضور قويًا، لأول عهد الدول الإفريقية بالاستقلال، ففي سنة ألف وتسعمائة وستين، كان لإسرائيل عدد هام من الخبراء في عدد من الدول الإفريقية نذكر منها على سبيل المثال بعض الدول دولة سيراليون عشرون خبيرًا، دولة ليبيريا خمسون خبيرًا، دولة غانًا مائة خبير، دولة نيجيريا مائة خبير، ولم تكن الخبرة البشرية الإسرائيلية تدخل القارة بقنوات الدولة الصهيونية وحدها، بل تسربت عبر قنوات أخرى بما فيها الأمم المتحدة فقد بعثت هذه المنظمة في سنة ألف وتسعمائة وتسع وستين وحدها واحدًا وتسعين خبيرًا إسرائيليًا للعمل في إفريقيا.

ولم يكن التعاون الثقافي بين إسرائيل ودول غرب إفريقيا تعاونًا عشوائيًا، بل كان تعاونًا مؤسسيًا محكومًا باتفاقات تكسوه صبغة إلزامية. وقد بلغ مجموع عدد الاتفاقيات الثقافية الإسرائيلية الإفريقية حتى سنة ألف وتسعمائة وأربع وستين نحو ستين إتفاقية، فتحت بها أبواب إفريقيا الخبرة البشرية الإسرائيلية، فكان من الصهاينة أساتذة، بل وعمداء كليات، مثل كلية الهندسة بجامعة غانا وكلية العلوم الطبيعية بليبريا، وكان منهم خبراء ومديرون في مؤسسات الإعلام، مثل محطة الإذاعة والتليفزيون في ساحل العاج. وبلغ التغلغل الإسرائيلي مداه، مغالطة

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ١٤٨) للخليل النحوي بتصرف بسيط.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتأثيرًا، بوقوع بعض المسلمين في فخ الدعاية الصهيونية، ففي سنة ألف وتسعمائة واثنتين وستين زار إسرائيل زعيمان مسلمان من دولة سيراليون، وقابلا بعض المسئولين وبحثا إمكان إرسال طلبة من دولة سيراليون لدراسة اللغة العربية في إسرائيل(١).

ويبدو أن الواقعة تكررت على نحو آخر في الثمانينيات عندما طرقت جمعيات من دولة سيراليون أبواب العديد من الهيئات العربية الإسلامية طلبًا للمساعدة في تعليم اللغة العربية في سيراليون، فإذا بإسرائيل تعلن استعدادها لأداء المهمة، على تلكؤ من الجهات العربية الإسلامية، إلا أن الجمعيات السيراليونية لم تقع في الفخ هذه المرة..

وفي سنة ألف وتسعمائة وتسع وستين زار الأرض المحتلة أحد زعماء الاتحاد الوطني للجمعيات الثقافية الإسلامية بالسنغال، وأجرى مقابلة مع صحيفة صهيونية قال فيها: وإن من أسباب زيارتي لإسرائيل التأكد من صحة الاتهامات الموجهة ضدها، لأن الصحف العربية التي تأتينا في السنغال تصوغ أخطر التهم ضدها وقال إنه زار مدينة القنيطرة ومرتفعات الجولان السورية وادعى أن سكان تلك المناطق «الذين استطعت أن أتحدث إليهم يتمنون العيش بسلام مع الإسرائيليين». وقد أصابت الأمانة العامة للاتحاد عندما نشرت بيانًا تعلن فيه براءتها من تصريحات هذا الرجل - وتفند مزاعمه(٢).

وقد حاولت إسرائيل استمالة الجماعات الإسلامية في نيجيريا، وحدث أن زارها وفد من حركة إسلامية نيجيرية سنة ألف وتسعمائة وخمس وستين، لكن تلك المساعي لم تثمر، فقد وقف المسلمون النيجيريون وحكوماتهم الإقليمية بحزم

(١) العرب وإفريقيا (ص: ٥٣١) لحلمي شعراوي.
(٢) المسلمون في السنغال (ص: ١٧٠) عبد القادر سيلا.

في وجه التعاون مع إسرائيل، فعندما وقع وزير مالية الحكومة الاتحادية النيجيرية اتفاقية مع إسرائيل في يونيو سنة ألف وتسعمائة وستين ميلادية انتقده برلمان الشمال المسلم ورئيس وزراء ولاية الشمال، وطالبا الحكومة الاتحادية بعدم قبول أي قروض من إسرائيل، ولذلك وجهت إسرائيل مساعدتها إلى المناطق الشرقية والغربية التي يقل فيها عدد المسلمين.

وإذا كان النشاط الثقافي الإسرائيلي قد ارتكز على محاولة غزو عقول الأفارقة وتكوين مجموعات ضغط ومراكز نفوذ تابعة لإسرائيل في إفريقيا، فإن النشاط الاقتصادي قد جاء ليعزز هذا المسعى بشراء الذمم وتشكيل (مصالح مادية مشتركة) تضمن بها إسرائيل حضورها السياسي في إفريقيا، فضلًا عما تكسبه من أرباح طائلة باستغلال خيرات القارة وتصريف المنتجات الإسرائيلية فيها، وتغطية نشاط رجال الاستخبارات الإسرائيلية المنبثق في أرجاء القارة[1].

وتعود جذور النشاط التجاري الإسرائيلي في غرب إفريقيا إلى عهد الاستعمار، إلا أنه شهد أخصب فتراته، بعد استقلال الدول الغرب الإفريقية. وكانت دولة ليبيريا، وهي أقدم الدول الإفريقية استقلالًا، وسباقة إلى ما يرضي إسرائيل، فبعد أن بادرت إلى الاعتراف بها في سنة ألف وتسعمائة وثمانية وأربعين، نجدها تحتضن منذ سنة ألف وتسعمائة وستة وخمسون شركة إسرائيلية للإنشاءات، وأنشأت شركة مشتركة للبواخر في دولة غانا، وكذلك الشركة الوطنية للبناء في نفس الدولة، وكذلك أنشأت شركة للبناء في شرق نيجيريا، وكذلك شركة للبناء في دولة سيراليون وكان يعمل في تلك الشركات أكثر من ثلثمائة وخمسون فنيًا ومهندسًا إسرائيليًا بينما نشطت مائة شركة إسرائيلية في ضروب التجارة في غرب إفريقيا، وقد بلغت أرباح إسرائيل من الشركات المختلطة وحدها اثنين وسبعين مليون دولار أمريكي سنة ألف وتسعمائة وتسع وستين.

(١) المسلمون في السنغال (ص: ١٧٠) عبد القادر سيلا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واستفادت إسرائيل كثيرًا من هذه العلاقة، فقد وفرت لها غرب إفريقيا احتياجاتها من اللحوم والأسماك والحبوب وبذور الأعشاب والأخشاب الثمينة. وكانت غرب إفريقيا، بدورها سوقًا لترويج السلع والبضائع الإسرائيلية ففي دولة ساحل العاج، مثلاً، كانت إسرائيل تشغل المرتبة الثانية في السوق، بعد فرنسا، وبدت ساحل العاج كأنها واجهة زجاجية لعرض السلع الإسرائيلية في القارة.

وقد عرضت خمس وثلاثون شركة إسرائيلية بضاعتها في معرض كنشاسا الدولي الثالث سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعون، وشاركت ثمان وخمسون مؤسسة صناعية إسرائيلية في المعرض الدولي الثاني في غانا سنة ألف وتسعمائة وإحدى وسبعين. وفي سنة ألف وتسعمائة واثنتين وسبعين بلغ حجم تجارة إسرائيل مع غرب إفريقيا ثمانية وسبعين مليون دولار أمريكي. وكانت الصادرات الإسرائيلية ما بين ألف وتسعمائة وست وستين وألف وتسعمائة واثنتين وسبعين، تتزايد سنويًا بنسبة عشرين بالمائة، وفيما بين ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين إلى ألف وتسعمائة وثمان وسبعين استثمرت الشركات الإسرائيلية نحو ثمانمائة مليون دولار أمريكي في نحو عشرين دولة إفريقية منها دولة ساحل العاج ودولة توغو ودولة نيجيريا[1].

لكن المجال الأهم لنشاط إسرائيل في القارة كان تجارة الماس ونهبه بأي طريقة، لإعادة بيعه في أسواق الصياغة العالمية، وقد حصلت إسرائيل من تجارة الماس الإفريقي على مئتان وخمسة عشر مليون دولار أمريكي سنة ألف وتسعمائة وتسع وستين[2].

وعلى ما للنشاط الثقافي والاقتصادي الصهيوني في غرب إفريقيا من أثر كبير، فإن التعاون العسكري يظل أكثر أوجه العلاقات إفصاحًا عن نية إسرائيل وفضحًا

(١) العرب وإفريقيا (ص: ٣٤٢) لحلمي شعراوي.
(٢) إفريقيا المسلمة (ص: ٢٥١) للخليل النحوي.

لمطامعها في غرب إفريقيا، حيث كانت لإسرائيل كثير من الاتفاقيات العسكرية والأمنية.

وقبل حرب سنة ألف وتسعمائة وسبع وستين كانت عشرون دولة إفريقية تتلقى مساعدات عسكرية إسرائيلية. وبلغت المعاهدات العسكرية الإسرائيلية الإفريقية المبرمة حتى سنة ألف وتسعمائة وواحد وسبعين (اثنى عشر معاهدة) كانت الأطراف فيها من غرب إفريقيا دولة ساحل العاج ودولة بوركينا فاسو ودولة غانا ودولة بنين ودولة توغو وغيرها من دول شرق ووسط إفريقيا ورغم فترة القطيعة الدبلوماسية التي تلت حرب أكتوبر سنة ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين فإن العلاقات بين إسرائيل ودول غرب إفريقيا تواصلت في المجالات الاقتصادية والعسكرية وغيرها.

ففي ساحل العاج بسطت شركة اسمها سوليل بونه الإسرائيلية سلطانها، ودخلت مجال المقاولات بشكل واسع، فكان من إنجازاتها بناء العمارة الهرمية والكاتدرائية الكبيرة في مدينة أبيدجان بساحل العاج، وبعض الفنادق في مدينة ياموسكرو، وعهد الرئيس العاجي إلى الخبراء الإسرائيليين بإدارة أعمال مؤسساته في هذه المدينة.

لقد حفظ هذا النشاط لإسرائيل حضورها، وعهد لعودة العلاقات الدبلوماسية، بعد سنوات معدودة من القطيعة. وكان أول العائدين إلى أحضان إسرائيل دبلوماسيًا الجنرال موبوتوسيسي سيكو الذي قرر في سنة ألف وتسعمائة واثنتين وثمانين إعادة العلاقات مع الدولة الصهيونية، متذرعًا بقوله: «إذا لم تجد مصر، وهي أكبر دولة عربية تأثرت بالاحتلال الإسرائيلي لأراضيها مانعًا من عقد معاهدة صلح وإقامة علاقات دبلوماسية وطبيعية مع إسرائيل، فما الذي يمنعنا نحن الإفريقيين من إعادة علاقاتنا مع إسرائيل إلى سابق عهدها؟».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخطت دولة ليبيريا خطاها فقررت إعادة العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل سنة ألف وتسعمائة وثلاث وثمانين وتبعتها دولة ساحل العاج في سنة ألف وتسعمائة وخمس وثمانين، وكان رئيس دولة ساحل العاج شديد الميل لإسرائيل لدرجة أنه رفض مساعدة عربية بمبلغ مائة مليون دولار لتمويل مشروع تنموي في بلاده، لما طلب منه الأمين العام لجامعة الدول العربية ورئيس المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في إفريقيا ألا يصرف هذه المساعدة إلى شركات إسرائيلية، فاعتبر ذلك مسًا بالكرامة. وأعلن من بعد أنه يرفض المال العربي وسيتوجه إلى البنك الدولي، ولكن لا البنك الدولي ولا غيره بادر بإسعافه بمطلبه إذ إن الأطراف الأخرى لا توفر الشروط الميسرة التي توفرها القروض العربية (فائدة من أربعة في المائة فقط وخمس وعشرون سنة استرداد في الحالة المذكورة)[1].

لقد كان واضحًا أن النشاط الاقتصادي الإسرائيلي في غرب إفريقيا ليس (تعاونًا) بما يقتضيه التعاون في الأخذ والعطاء والتبادل المتكافئ .. بل هو بدرجة كبيرة غطاء للنشاط السياسي والاستخباري الصهيوني في غرب إفريقيا، لذلك كان في استمراره خلال سنوات القطيعة الدبلوماسية مع إسرائيل ما يعوض البعثات الدبلوماسية التي قد تكون أهون أدوات العمل الصهيوني في المنطقة وأقلها تأثيرًا.. ومن الناحية المادية الصرف يقوم النشاط الإسرائيلي في القارة على محاولة ذكية لاستغلال موارد إفريقيا وجعلها سوقًا مفتوحة لترويج السلع والبضائع الإسرائيلية، وإعادة تصديرها أحيانًا حتى إلى بعض البلدان العربية. ومما لا شك فيه أن إسرائيل ربحت أموالًا كثيرة من تجارتها في غرب إفريقيا، وكذلك مما لا شك فيه أن هذه الأرباح كانت في الغالب خسارة صافية في حساب الطرف الآخر وخاصة وأن التجارة الإسرائيلية في غرب إفريقيا تقوم على التهريب والتهرب من الضرائب.

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ٢٥١) للخليل النحوي.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومما يُدلل على ذلك في سنة ألف وتسعمائة وتسعين، أعلنت الشرطة في دولة سيراليون عن اعتقال بعض الإسرائيليين بتهمة تتعلق بتخريب اقتصاد البلاد، فقد ضُبطت شحنة من الماس تبلغ قيمتها نحو خمسة ملايين دولار أمريكي، حاول رجُلا الأعمال الإسرائيليان نيرجواز ويومي نويل تهريبها[1].

ولقد رأينا عند زيارتنا لدولة سيراليون العمال الفرنسيين الذين ينقبون عن الماس، عندما يجد قطعة من الماس يلتقطها بشبكة ثم يرمي بها في صندوق ويُغلق عليه حتى يوهم العمال الأفارقة أن هذا الماس له علاقة بالسحر والشعوذة والشيطان حتى يبتعد عنه ولا يُفكر في سرقته».

ولا ينحصر النشاط التخريبي الإسرائيلي في غرب إفريقيا في المجال الاقتصادي وحده، بل إن إسرائيل حاضرة في الفتن التي شهدتها المنطقة، تحث على قيامها وتؤجج نارها وتشيع فيها أسباب الفوضى والدمار، وتُحيك المؤامرات للإطاحة بالقادة الذين يشقون عليها عصا الطاعة. ففي حرب ألف وتسعمائة وسبع وستين إلى ألف وتسعمائة وسبعين ألقت إسرائيل بثقلها إلى جانب أوجوكو والإنفصاليين، حرصًا منها على تمزيق وحدة دولة نيجيريا، فأمدت الانفصاليين بمدربين عسكريين وزودتهم بالمدفعية والصواريخ ومنحتهم مئتين وخمسين ألف جنيه استرليني (مساعدة إنسانية) ومن قبل أعدت إسرائيل لاغتيال الزعيمين النيجيريين المسلمين أبو بكر تيفاوه وأحمد بللو، اللذين انتهجا سياسة معادية للاستعمار والصهيونية.

وكذلك رغم كل التنازلات التي قدمتها دولة غانا منذ استقلالها لإسرائيل، فإن ذلك لم يكف الزعيم الغاني كوامي نكروما شر غضب إسرائيل التي شاركت في الإطاحة بنظام حكمه.

---

(١) جريدة الصباح التونسية في ١٧ جمادى ١٤١٠ هـ ١٤/ ١ / ١٩٩٠م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كذلك إسرائيل ضالعة في المؤامرة الفاشلة التي استهدفت نظام الرئيس الغيني السابق أحمد سيكوتوري سنة ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين.

وحاولت إسرائيل جهدها أن تعطل حركة تصفية الاستعمار في غرب أفريقيا، بدعمها للسلطات البرتغالية في حربها على حركات التحرير الإفريقية في دولة غينيا بيساو. وقد غنم الثوار في دولة غينيا بيساو في معاركهم ضد البرتغاليين بعض رشاشات (عُوزى) الإسرائيلية[1].

وقد كشفت بعض التقارير عن تورط الأيادي الخفية لإسرائيل في إيقاد الفتنة التي شهدها رمضان/ إبريل سنة ألف وتسعمائة وتسع وثمانين بين دولة السنغال وموريتانيا. ولم تكن جهات استعمارية غربية بعيدة عن هذا الصراع الذي أودى بأرواح أعداد كبيرة من المدنيين في البلدين. لكن مظهر الأحداث مع بداية العشر الأواخر من شهر رمضان (لاحظ التوقيت) بنهب جميع ممتلكات العرب الموريتانيين، الذين كانوا يسيطرون على تجارة المفرق في البلاد، وكانوا في الوقت ذاته دعاة ينشرون الإسلام وثقافته أينما حلوا. ثم اختير يوم الجمعة الموافق السابع والعشرين من شهر رمضان ليكون يوم المجزرة البشرية الكبرى. ولم تمض أيام حتى كان مئات الآلاف من الموريتانيين قد جُرِّدوا من جميع ممتلكاتهم. وقتل كثير منهم، وحشروا في بعض المساجد والسفارات ومراكز الشرطة استعدادًا لواحدة من أكبر عمليات الترحيل في التاريخ المعاصر. والغريب أن هؤلاء الأبرياء لم يجدوا مأمنًا لدى أي من الأسر الدينية العريقة التي تزخر بها دولة السنغال، باستثناء آل الشيخ إبراهيم أنياس، الذين حوّلوا حاضرتهم إلى ملاذ لآلاف الموريتانيين قبل أن يؤمن نقلهم إلى بلادهم. وكان خطاب الحاج عبد الله بن الشيخ إبراهيم في جموع اللاجئين قبل ترحيلهم إلى بلادهم نغمة نشازًا في السنغال آنذاك، إذ هو

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ١٦٢) للخليل النحوي، بتصرف واختصار.

نغمة عرفان وود في وقت ساد فيه النكران والحقد. قال الحاج عبد الله للموريتانيين ضمن ما قال: «نحن وأنتم .. شعب واحد .. والروابط التاريخية بين دولة موريتانيا ودولة السنغال تشهد على ذلك وكنتم نعم الجار، وكنتم تعاملوننا معاملة حسنة، والطيبون منا يعاملونكم معاملة حسنة، وشاءت الأقدار أن تتدخل بيننا أيادٍ خفية بشيء يُكدر صفونا وإن شاء الله لن تدوم، لأن السنغال لا يمكن أن تنقطع عن موريتانيا، وموريتانيا لا يمكن أن تنقطع عن السنغال فالحمد لله بين الشعبين روابط متينة شاهدنا في كل بيوتات العلم هنا آثاركم الطيبة». ونحن نرى أن كثيرًا منكم ينتسبون إلى أعقاب النبي ﷺ بالسند الصادق، وذلك يجعل علينا أمانة في أن نحسن معاملتكم. وغير من ينتسب منكم إلى رسول الله ﷺ فعلى الأقل ينتسب إلى العرب، لا تؤاخذونا بما فعل السفهاء منا، فالصالحون من الشعبين يحب بعضهم بعضًا ويحن بعضهم إلى بعض.

ولخصوصية هذه العلاقة التي وصفها الحاج عبد الله أنياس كان حجم المؤامرة كبيرًا. وكانت للسفهاء جولة في موريتانيا وجولات في السنغال لضرب التعاون العربي الإفريقي في أهم مفاصله، ولوقف مسيرة الإسلام الزاحف انطلاقًا من موريتانيا عبر دولة السنغال باتجاه إفريقيا كلها، وغربها بوجه خاص ولم يكن غريبًا البتة على عمل هذه نتائجه أو غاياته أن يكون صنيعة أياد أجنبية تلتقي فيها الموساد الإسرائيلي وبعض الهيئات الكنسية والقوى الاستعمارية المتمكنة في السنغال على مصالح مشتركة، ضد شعبين عاشا بأمان وحسن جوار منذ مئات السنين. هكذا تتواجد إسرائيل في غرب إفريقيا لكسب الشرعية السياسية والقانونية، والاعتراف بها كدولة من قبل غرب إفريقيا، والعمل بكل حيلة ومكر على الحيلولة بينها وبين العالم العربي، ونقل الثقافة العبرية الصهيونية إلى غرب إفريقيا، والاستفادة من الموارد وفتح سوق وتبادل التجارات وعمل المكائد والدسائس والانقلابات والفتن في المنطقة .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حملات التنصير
في غرب إفريقيا

لا شك أن التنصير والاحتلال لبلاد الإسلام وجهان لعملة واحدة، فالمنصرون هم الواجهة الدينية للمحتل الأوروبي، والاحتلال الأوروبي هو الحقيقة الاقتصادية والسياسية للمنصرين وهذا الأمر يتضح عند دراسة العلاقة الحميمة بين الحركتين اللتين تزامنتا طوال التاريخ النصراني بل إن الحروب الصليبية التي شُنت على العالم الإسلامي عبر قرون طويلة هي حلقة من سلسلة الترابط والوحدة بين التنصير والاستعمار، فقد قام ملوك أوروبا بتلك الحروب بمباركة الكنيسة، ولبى الأوروبيون نداء الملوك لهذه الحروب طمعًا في الملكوت الذي وعدهم به باباوات الكنيسة.

كان المنصرون الذين يفدون إلى البلاد الإسلامية يأتون أول الأمر متسترين بأسماء مختلفة، فإذا استقروا في البلاد قاموا بالتنصير بقدر وسعهم، فإذا وجدوا من الدول الإسلامية ملاحقة لجؤوا إلى قناصلهم لحمايتهم، وكلما ضعفت الدول الإسلامية زادت الدول الأوروبية في دعم المنصرين داخل البلاد الإسلامية وحمايتهم وتأييدهم.

ومما يدل على أن التنصير كان تمهيدًا للاستعمار ومقدمة له ما جاء في خطاب القس (زويمر) الذي ألقاه في مؤتمر القدس التنصيري، حيث قال: وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية[1].

(١) حقيقة التنصير بين الماضي والحاضر (١٥٤) لمصطفى خالدي.

ويقول المنصر (لورانس بدوان) أحد أقطاب المنصرين في العالم: الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخفاء، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي. وتقول مجلة العالم الإسلامي بالانجليزية: إن شيئًا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف أسبابه، منها أن العالم الإسلامي منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عدديًا، بل كان في ازدياد واتساع دومًا، ثم إن الإسلام ليس دينًا فحسب، بل من أركانه الجهاد، ولم يحدث قط أن شعبًا دخل الإسلام ثم عاد نصرانيًا[1].

وفي المؤتمر الذي أقامه المنصرون على ظهر الباخرة «جالف» في البحر الأحمر، صاح حاكم إفريقيا الشرقية بأنه: «يجب على الحكومات أن يشتركوا في العمل ضد الإسلام»، وقد استجلب المنصرون لهذه الحرب الصليبية[2]، يقول القس ميز: «إن الحرب الصليبية الهادئة التي بدأها المنصرون في القرن السابع عشر لا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه[3].

* بداية حملات التنصير في غرب إفريقيا:

يمكن القول بأن حركة التنصير الكنسي وليدة أطماع استعمارية صليبية، وقد وضع أسسها الملك لويس التاسع حينما كان في سجن المنصورة، فكتب داعيًا إلى تحويل الحملات العسكرية الصليبية إلى حملات صليبية سلمية تستهدف الغرض نفسه، لا فرق بين النوعين إلا من حيث نوع السلاح المستخدم في المعركة .. تجنيد المنصرين الغربيين في هذه المعركة السلمية لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره، ثم القضاء عليه معنويًا، واعتبار هؤلاء المنصرين في تلك المعارك جنودًا للغرب.

لقد بدأ التنصير في غرب إفريقيا بمجيء الأوروبيين إليها لاحتلالها وأول من

(١) قراءات تاريخية، العدد (٢٥) لسنة ٢٠١٥م.
(٢) أجنحة المكر الثلاثة وقوافيها (١١٠) عبد الرحمن حسن حبنكة.
(٣) المصدر السابق.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جاء إلى غرب إفريقيا البرتغاليون، الذين جاءوا من أجل الحصول على الذهب والثروات ثم التنصير، لأن أوروبا بعد أن قضت على الأندلس وتوالت الهزائم على المسلمين فكرت في السيطرة الاقتصادية والسياسية والتنصيرية بناءً على أوامر البابا في روما، وظل التنصير محتكرًا على العنصر البرتغالي حتى دخل الأسبان(١).

وهذه الحملات كانت مقتصرة على الكاثوليكية فقط ثم البروتستانتية، ثم دخلت فرنسا وأمريكا وانجلترا وألمانيا، وتم بناء كنائس خاصة في دولة سيراليون ودولة ليبيريا، ودولة نيجيريا، وبدأت حملات التنصير متنوعة ما بين القهر والترغيب واختطاف الأطفال.

قال القس (صومائيل زويمر) «أحد واضعي أسس التنصير العالمي الحديث» إن مهمة التبشير (التنصير) التي ندبتكم إليها الدولة المسيحية (النصرانية) في البلاد الإسلامية ليست إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريمًا لهم، وإنما مهمتكم في أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقًا لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها(٢).

وأن منظمات التنصير تنتشر في أغلب البلاد وفي مقدمتها العاصمة، وتعمل ليل نهار لإقناع المسلمين بأن الدين المعترف به عند الله هو النصرانية(٣).

وقال الشيخ إبراهيم الحاج شعبو صالح: إن الأوضاع الاقتصادية المعقدة التي تعيشها دولة النيجر وتفشي المجاعة، فتح البلاد على مصراعيها لمنظمات التنصير التي تقودها منظمة جيش مريم، والجامعة اليسوعية، وجماعة سفراء السلام، وجماعة فرانكلين جراهام، والجمعية اللندنية لنشر النصرانية وذلك عبر الإغراءات المالية، في حالة غياب وضعف أنشطة المنظمات الإسلامية.

(١) التنصير والاستعمار وجهان لعملة واحدة (ص: ٩٥-٩٦).
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويقول آدم عبد الله الألوري: «إن النصرانية أقبلت إلى دولة نيجيريا بصحبة الاستعمار، وأصبحت نيجيريا في أقل من قرن ونصف تحمل شارات النصرانية في الشوارع والأسواق والبيوت، وفي المحلات ووسائل النقل ودور العلاج والتعليم ومكاتب الحكومة ...».

نشطت الحركة التنصيرية في غرب إفريقيا سنة ألف وثمانمائة وثمانين ميلادية بعد أن كانت الإرساليات تتحرك في أشرطة ساحلية محدودة، فأخذت الإرساليات الكاثوليكية تتحرك في دولة السنغال، وتوجه البروتستانت إلى سيراليون وشاطئ الذهب بدولة غانا ودولة ليبريا ودولة نيجيريا، وكان من دعاة التنصير الأول أمريكيون وانجليز وألمان وسويسريون[1].

*** أساليب وأدوات التنصير:**

لم يأت اهتمام المنصرين بغرب إفريقيا من فراغ فكل المؤشرات تشير إلى أن الإسلام هو دين المستقبل في غرب إفريقيا، وأن الحاضر يشهد بذلك، فإن قرابة اثنين وخمسين بالمائة من سكان غرب إفريقيا من المسلمين، كذلك تشهد الدعوة الإسلامية صدى وتجاوبًا لدى الأفارقة، وتسير الدعوة بخطى واسعة رغم التحديات وهذا قد لمسته في كثير من الدول التي زرتها في الغرب الإفريقي، حتى أن المنصرين يخافون الإسلام ويعلمون مدى انتشاره وخطورته على دعوتهم التنصيرية.

يقول المنصر بلس: «إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التنصير في غرب إفريقيا، والمسلم فقط هو العدو اللدود لنا؛ لأن انتشار الإنجيل لا يجد معارضًا لا من جهل السكان، ولا من وثنيتهم ولا من مفاضلة الأمم النصرانية وغير النصرانية.

(١) إفريقيا المسلمة (١٠١) الخليل النحوي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقول فيليب فونداس: «الإسلام يؤلف حاجزًا أمام مدنيتنا المبنية كلها على مؤثرات مسيحية ومن مادية ديكارتية .. فإن الإسلام يهدد ثقافتنا الفرنسية في غرب إفريقيا السوداء[1].

وتدخل حملات التنصير في غرب إفريقيا وغيرها من دول إفريقيا تحت ستار المساعدات الإنسانية.

فهناك تركيز ممنهج على إفريقيا عمومًا فهل لك أن تتخيل أن هناك خمسة آلاف طبيب، وسبعة آلاف ممرض وممرضة، ومائتين وتسعة وثمانين ملجأ للأطفال الأيتام، ومائة وخمسة وتسعين ملجأ للعجائز، ومائة وتسعة وثمانين ملجأ للمكفوفين، وألف وخمسين صيدلية توزع الأدوية مجانًا، وثمانية آلاف مستشفى متكامل الخدمات، وسبعة عشر ألف مركز طبي، ومائة وواحد وسبعين كلية ومعهدًا عاليًا، وثماني عشرة ألف وخمسمائة وواحد وسبعين مدرسة ابتدائية، وعشرة آلاف مدرسة ثانوية، وألفي مدرسة مهنية هذا في دول إفريقيا والتي منها دول غرب إفريقيا.

وإليك أخي الكريم بعض أساليب وطرق التنصير في غرب إفريقيا.

*** والتي منها: التركيز على التعليم:**

النشاط التعليمي التنصيري مركَّزٌ في المقام الأول على الأطفال للنأي بهم عن منابع الإسلام وإبعادهم عن الفطرة التي ولدوا عليها .. فقد لاحظوا أثر تربية الإسلام على الصغار.[2]

ولذلك بنوا كثيرًا من المدارس الابتدائية في غرب إفريقيا وسعت الإرساليات الكنسية إلى استيعاب أكبر عدد ممكن من الأطفال في المدارس التي تقوم على التنصير التي نمت بدعم الاستعمار وتحت رعايته.

(١) غزو تنصيري لإفريقيا (٨٥) أحمد أبو زيد.
(٢) المصدر السابق.

قال المنصر جون موت: «إن الأثر المفسد للإسلام يبدأ باكرًا جدًا ... ومن أجل ذلك يجب حمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغ سن الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية[1].

وكان من خبثهم وحقدهم على الإسلام وأهله، عند التحاق الأطفال المنحدرين من أسر مسلمة بمدارسهم يطلبون منهم استبدال أسمائهم الإسلامية بأسماء نصرانية أو وثنية، وكان ذلك شرطًا في انتساب التلميذ إلى المدرسة، وكانوا يفرضون على التلاميذ أن يحملوا الإنجيل ويتوجهوا إلى الكنيسة يوم الأحد.

بهذه الأساليب كانت هذه المدارس وسيلة من وسائل التنصير، وكانت الأموال وأبواب النفوذ والوجاهة مفتوحة أمام أهالي أبناء من يلتحقون بهذه المدارس التنصيرية.

وقد لاحظ وزير التعليم السنغالي، إيبادير تيام أن أكثر من ثمانية بالمائة من مساعدات حكومة دولة السنغال للمدارس الأهلية، كانت موجهة للمدارس التنصيرية، والحال إن أكثر من تسعين بالمائة من سكان البلد مسلمون. ولأن الوزير كان حريصًا على إصلاح الوضع وتحسين مستوى التعليم العربي الإسلامي في بلاده، فقد كان لا بد من إقالته. وقد عززت الإرساليات التنصيرية نشاطها في غرب إفريقيا بالكتاب فترجمت التوراة إلى لغات إفريقية كثيرة، وكان الكتاب الأول إن لم يكن الوحيد الذي يدرس في بعض المدارس.

*** ومنها: تعطيل التعليم العربي الإسلامي:**

لقد حاولت السلطات الاستعمارية جهدها أن تعطل حركة التعليم العربي الإسلامي المنافس الأول والوحيد للتعليم الاستعماري في غرب إفريقيا، ففي إبان احتلال فرنسا لدولة السنغال مورست ضغوط شديدة ومتنوعة على مدارس

(١) غزو تنصيري لإفريقيا (٨٥) أحمد أبو زيد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرآن وعلوم اللغة والدين، فصدر سنة ألف وثمانمائة وخمس وسبعين ميلادية قرارًا بحظر افتتاح أية مدرسة عربية إلا بعد الحصول على تصريح رسمي من السلطات الاستعمارية.

وقد فرضوا على شيوخ المدارس القرآنية أن يقتطعوا ساعتين يوميًا من وقت الكتاب، يتفرغ فيها التلاميذ لدراسة الفرنسية، وعززت هذه الإجراءات هناك، وفي مناطق أخرى، بإنشاء لجان للمراقبة تتابع تلاميذ المدارس القرآنية الذين تتراوح أعمارهم بين ست سنوات إلى ست عشرة سنة، فترغمهم على الانصراف إلى المدارس الفرنسية.

وفي دولة موريتانيا وهي الدولة التي تفصل بلاد المغرب العربي عن إفريقيا السوداء، جربت الإدارة الاستعمارية أسلوب الإغراء أيضًا، فصدر سنة ألف وتسعمائة وست من الميلاد مرسوم يقضي بصرف منحة تشجيعية شهرية قدرها ثلاثمائة فرنك قديم لكل شيخ محضرة كُتاب - يلزم طلابه التفرغ ساعتين لتعلم الفرنسية، وقد اضطرت الإدارة الفرنسية لما لم تجد استجابة لذلك، إلى افتتاح مدارس نظامية مزدوجة تدرس الفرنسية والعربية، في دولة موريتانيا، ودولة السنغال، ودولة مالي وهذا مطبق ويعمل به إلى اليوم[1].

*** ومنها: ضرب اللغة العربية:**

لا شك أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، التي لا يمكن للإسلام أن ينتشر ويزدهر بغيرها، ولقد عرف المحتل الصليبي هذه الصلة فبذلوا كل جهدهم لإقصاء اللغة العربية في غرب إفريقيا، وإحلال مكانها اللغة البرتغالية والفرنسية والانجليزية والألمانية، وجعل هذه اللغات اللغة الرسمية لبعض الدول، ولغة الطبقات المثقفة المؤثرة والقائدة في المجتمع.

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ١١٣) للخليل النحوي، بتصرف بسيط.

وكذلك تشجيع اللهجات المحلية كاللهجة السواحلية والفلانية والسننوكية والبولارية حتى تُغيب اللغة العربية، هكذا حارب المحتل الغربي اللغة العربية وتغريبها.

*** ومنها: محاولات الفصل العرقي بين القوميات الإسلامية:**

لقد سعى المحتل الأوروبي لغرب إفريقيا لإحياء النعرات القبلية في غالب دول غرب إفريقيا حتى تتناحر وتتمزق كياناتها، كما هو الحال في دولة مالي وموريتانيا والنيجر وغيرها من بلدان غرب إفريقيا.

*** ومنها: استغلال وسائل الإعلام المتنوعة:**

وسائل الإعلام بأشكالها المختلفة من أخطر الوسائل التي اعتمد عليها التنصير في نشر أفكاره ودعوته، والوصول بها إلى جميع بقاع العالم.

ولم يتركوا وسيلة إعلامية إلا استغلوها لخدمة أهدافهم وبث سمومهم؛ حتى وصل بهم الأمر إلى استغلال كل جديد في أجهزة الإعلام من أقمار صناعية وبث مباشر وإنترنت، وتملك المنظمات التنصيرية كثيرًا من الصحف والإذاعات الموجهة إلى البلاد الإسلامية، وقد أثبتت الدراسات وجود أكثر من مائة إذاعة كنسية في إفريقيا تبث برامج تنصيرية بمختلف اللهجات واللغات الإفريقية المحلية، كما يستغل المنصرون وسائل الإعلام المحلية في البلاد الإسلامية نفسها لبث أفكارهم على عامة المسلمين، فما من بلد إسلامي إلا ونجد فيه صحيفة تنصيرية أو أكثر ما عدا بعض الدول الإسلامية القليلة كالمملكة العربية السعودية.

وقد أشارت أحدث إحصائية صدرت عن التنصير في السنوات الأخيرة إلى أن عدد المجلات والدوريات والنشرات التنصيرية التي توزع في العالم تبلغ اثنتين وعشرين ألف وسبعمائة مطبوعة، أما محطات الإذاعة التنصيرية المسموعة والمرئية في العالم فتبلغ نحو ألف وتسعمائة محطة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأن إفريقيا لها النصيب الأكبر من حملات التنصير، فإن الكنيسة تصول وتجول في شمال وغرب وشرق وجنوب ووسط إفريقيا بجيش إعلامي كبير، ويكفي لإبراز خطره أن الجمعيات النصرانية تدير نحو ألف وخمسمائة وثمانين محطة إذاعية وتليفزيونية، فإفريقيا لها النصيب الأكبر.

ولقد عززت الإرساليات التنصيرية نشاطها في غرب إفريقيا بالكتاب فترجمت التوراة والإنجيل إلى لغات كثيرة، وكان الكتاب الأول حتى إنه يدرس في المدارس ولقد أمدت الكنيسة رسلها بالمراجع المنهجية الضرورية لإحكام العمل، بعد أن أعدتهم الإعداد المناسب، ولنذكر مثلًا مكتبة إنجيلية في مدينة «كانو» بدولة نيجيريا كانت تتضمن كتابًا أُلِّف في الصين وطبع في الولايات المتحدة سنة ألف وتسعمائة وتسع وأربعين، وهو كتاب يعالج سُبل إقناع المسلم بالانسلاخ عن دينه واعتناق النصرانية.

ولم يعد تنصير المسلمين مجرد موضوع كتاب، وإنما أسس له معهد خاص، ورصدت له أموال طائلة وقد عكفوا على دراسة موضوع واحد وهو: «كيف السبيل لتنصير المسلمين أينما كانوا؟» وأنه يجب الإقلاع عن طريقة التنصير الفردي واللجوء إلى التنصير الجماعي، واستغلال الظروف المواتية لذلك مثل الكوارث الطبيعية والحروب وظروف الفقر والمرض والجهل، لأن الإنسان الإفريقي عندهم فريسة سهلة، وأنه مؤهل أكثر من غيره لتقبل الدعاية.

وهذا مزارع إفريقي يلخص لنا حصاد حركة التنصير عندما توجه إلى أحد المنصرين قائلًا:

«إني أذكر جيدًا حينما جئتم إلى هذه الأرض كنا نحن نملكها، ونزرعها وترعى عليها حيواناتنا كانت الأرض في أيدينا وكنتم تبنون كنائس صغيرة، وفي يدكم

الإنجيل تعرضونه علينا هدية .. وها هي ذي الأيام تمضي، والموقف كما ترى ونرى الآن: انقلبت الأوضاع، فأصبحت الأرض في يدكم وأصبح الإنجيل في أيدينا، ولا نريد أكثر من أن يأخذ كل واحد حقه ويسترجع ماله!»[1].

وهذا قد لمسناه، ورأيناه وعايشناه في غرب إفريقيا، لأن المسلمين كثيرًا منهم ممسوخ الهوية الإسلامية ومعاني الولاء والبراء غير جلية له، ومن السهل أن ينتقل من ديانة إلى أخرى، حتى إنني رأيت في الأسرة الواحدة من يدين بدين الإسلام، ومن يعتنق النصرانية، ومن ظل على عقيدته الوثنية التقليدية القديمة.

مررنا ذات مرة على حانوت - محل للبقالة - تملكه فتاة صغيرة اسمها زينب وقد أغلقت المحل يوم الأحد، فسألناها لماذا تغلقين يوم الأحد؟ قالت: أذهب إلى الكنيسة للصلاة. فقلنا لها إنك مسلمة ولا ينبغي أن تذهبي إلى الكنيسة، قالت: كلها بيوت الله. هكذا ضعف الإسلام عندهم وعدم إتقانهم للغة العربية التي من خلالها تفهم مقاصد الشريعة، جعلت عندهم الهوية الإسلامية ممسوخة إلا من رحم الله.

وهذه فتاة مسلمة اسمها مريم وجدناها تلبس صليبًا في عنقها، فقلنا لها: ألستِ مسلمة كيف تلبسين هذا الصليب وهو من مقدسات النصارى؟ قالت: وجدته شكله جيد فقلت ألبسه. هكذا بسبب قلة علم المسلمين بأحكام الشريعة وأصول وفروع الشريعة في غرب إفريقيا يقعون فريسة لحملات التنصير ويجعلون الكنيسة تراهن على ذلك وتتحدى المسلمين وترفع شعارات خبيثة بين الحين والآخر.

والتي منها: «اخلع عنك دين الإسلام نخلع عنك الجوع والعطش والمرض والعُري»، «وإفريقيا مسيحية عام ألفين».

(١) العرب وإفريقيا (ص: ٤٩) لمحي الدين صابر، وانظر: إفريقيا المسلمة (ص: ١١٠) للنحوي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هكذا يراهنون على غرب إفريقيا، بل على كل قارة إفريقيا المسلمة.

قال أرنولد تويشي: «إن العالم اليوم يتجه نحو نشوء جمهورية مسيحية حيث يكون الزنوج الخدم المخلصين للمسيحية، لأنهم يملكون نفوسًا نقية خالية من أي حضارة سابقة يمكن التأثر بها في تكوين معتقداتهم الحديثة[1].

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ١١١) للخليل النحوي.

عبادة الأصنام والأوثان في غرب إفريقيا

عبادة الأصنام والأوثان كانت منتشرة في غرب إفريقيا قبل قدوم الإسلام وبعد دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا دخل منهم أعداد غفيرة، إلا أنه ما زال هناك كثير من الناس على هذه العبادات التقليدية التي ورثوها عن أسلافهم، فهناك ما يقرب من عشرة ملايين شخص يعبدون الأصنام والأوثان في غرب إفريقيا، خاصة في دولة بنين، ودولة توغو، ودولة غانا، ودولة نيجيريا، ودولة غينيا بيساو، ودولة سيراليون، ودولة ساحل العاج وغنيا كوناكري وهم عقيدتهم وطريقة عبادتهم مختلفة في غالب الأحيان إلا أنها تتقارب وتتشابه. ولكن عندهم أمر راسخ وأساسي في عقيدتهم وهو أن هذا الكون له خالق، وهذا معتقد عند كل وثني في غرب إفريقيا، ففي جميع الأديان الإفريقية التقليدية في غرب إفريقيا يسمون الرب (سبحانه وتعالى وتقدس) بالجد وهو بمنزلة رأس العائلة عندهم، فهم يسمون الرب بالجد الأكبر، أو السلف الأعظم وهي مستقاة من الدور الذي يقوم به كقائد للمجتمع كله.

وهم شركهم مثل شرك مشركي العرب، بل يزيدون على ذلك، فهم يعتقدون ويقسمون الإنسان بعد موته إلى ثلاثة أقسام:

قسمٌ: لحم ودم، وقسمٌ ثانٍ وهو النفس والنفس عندهم مركبة من دم وروح، والقسم الثالث وهو الروح، وهم يعتقدون أنها مصاحبة لهم طوال الحياة.

فالقسم الأول وهو اللحم والدم: يأكله التراب ويبلى، **والقسم الثاني** يذوب في الكون، أما القسم الثالث وهي الروح فهي تنتقل إلى كائن آخر إنسان أو حيوان أو شجر، وتواصل مسيرتها في الكون مرة أخرى بعد موت الجسد الذي كانت تسكنه، فإذا مات هذا الإنسان الثاني، انتقلت إلى جسد آخر ثالث وهكذا يعتقدون.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهم زادوا على شرك، مشركي العرب، أنهم أرواح الأجداد موجودة في هذا الكون، ويعتقدون أن علاقتهم مع أسلافهم الأموات قوية، ويشعرون بمراقبة هذه الأرواح لهم، وهي تسعد لفرحهم وتحزن لحزنهم، وهي تزور بيوتها بصفة مستمرة وهي تعمل على حماية المجتمع والقبيلة، وهذه الأرواح تتجسد في الآلة التي يعبدونها، وهذه الآلة التي تعبد في غرب إفريقيا هي وسائط بين الخلق والرب، وهي كثيرة ومتعددة تقدر بالآلاف، حتى إن هذه الأصنام والأوثان لها سوق تباع فيه وهو مزدحم بشكل عجيب، وقد قمت بزيارة بعض الأسواق التي تباع فيها هذه الآلة منها الخشبي والحديدي وعلى أشكال وهيئات مختلفة منها ما هو على شكل بقرة أو قرد أو وجه ثعبان أو فيل أو منحوتات شكلها عجيب حتى لو أنك طلبت عظم إنسان لتعبده وتتخذه إلهًا لوجدته وهذه الأسواق تسمى بـ(أرت جنا) بمعنى السوق التقليدي.

واعتقاد الوثنيين في غرب إفريقيا أن الآلهة وهي الأرواح التي يعبدونها الآلة الأكبر وهو الرب قد خلقها من أجل أداء مهمات وأمور معينة، وهذه الآلة لم تأت باختيارها وهي تستمد قوتها وقدرتها من الآلة الأكبر، وبعضهم يعتقد أن هذه الآلة التي يعبدونها هي أبناء للإله الأكبر وهو الأب ورسُل له في الأرض، وهذه الآلة في تصورهم ممكن أن تكون ذكورًا أو إناثًا، وهذه الآلة تتجسد وتعيش في الأشجار والصخور حتى تتجسد في بعض الحيوانات، وأنها لها قوة خارقة، وأن كل إله له عمله الخاص، وآلهة خاصة بالصيد، وآلهة خاصة بالأوبئة وهذه الآلهة تعمل بتفويض من الله الرب وهو الإله الأكبر. وهم في الحقيقة ليس لهم مرجعية في هذه العبادات وليس لهم مراجع من كتب أو دور يعبدون فيها هذه الأوثان، فهم يعبدون هذه الآلهة في الكهوف والغابات، وكل قبيلة لها وثن يعبد، وترى في مدخل كل قرية وثن.

بعض عقائد وطقوس عبدة الأوثان في غرب إفريقيا:

فبعضهم يعتقد أن الإله داخل كهف ومعه مجموعة من الكائنات مسخها وصورها على هذه الصور، وبعضهم يعتقد أن الإله سبحانه تعالى وتقدس يعمل نجارًا يصنع المنحوتات وبعضهم يعتقد أن الرب عندهم الذي لا يعرفون شيئًا عنه إلا أنه قوة خارقة لا يستوعبون فهمها أنه هو الجد والسلف الكبير، وهذا الجد لا يصرفون له عبادة مباشرة، لأنهم يعتقدون أن هذا الرب وهذا الجد لا يأتي لهم إلا بالخير، ولا يأتيهم منه ضرر ولا أذى، بعكس الآلهة والأوثان التي يعبدونها ويتخذونها واسطة، فإنهم يخشون منها أن توقع بهم الإيذاء.

وأذكر: أن في بعض المرات ذهبنا لدعوة رجل وثني كان يعبد مجموعة من الآلهة وهي عبارة عن ذيول بقر وإبل وبعض الحيوانات المفترسة، فلما دعوناه استجاب على خوف وحذر، وقال: أنا أريد أن أسلم ولكن أخاف من الآلهة أن توقع بي الأذى، فقلنا له لا تخف وبينا له أن الخوف إنما يكون من الله عز وجل والخوف هذا عبادة وهذه الأوثان التي تتلبس فيها الشياطين لا تضر ولا تنفع، فقال لا بأس فأتى بهذه الذيول، فقرأنا عليها بعض الآيات والمعوذات فاحترقت، وأسلم، وأسلم كل أتباعه. لأنهم في الحقيقة لا يتصورون أن يتعامل الإنسان مع الإله الذي لا يعرفون شيئًا عنه مباشرة لابد من واسطة.

ومن معتقداتهم أن أرواح الأسلاف موجودة بينهم فقبل أن يأكلوا يرمون ببعض الطعام على الأرض اعتقادًا منهم أن الأسلاف من الأجداد والآباء سوف يأتون ويأكلون هذا الطعام، كذلك قبل أن يشربوا يسكبون بعض الماء على الأرض ظنًا منهم أن أجدادهم وآباءهم سيشربون هذا الماء.

كذلك من اعتقادهم أن الميت أقرب إلى الرب من الحي، وإنه قد انتقل إلى مكان بعيد آخر، ويتوسل بالجد السابق والذي دونه،، فعندما يحدث عندهم قحط أو مرض أو مصيبة، يتوسلون إلى الجد الأول ويقولون أيها الجد فلان ويسمونه باسمه) انقل دعوتنا إلى الجد فلان إلى آخر الأسلاف تصاعديًا من الجد فلان إلى الجد فلان ثم إلى الرب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كذلك من اعتقادهم أنهم عندما يحصدون الحصاد يقدمون جزءًا منه إلى الأجداد، وعندما يصطادون بعض الحيوانات يقدمون بعضها قرابين لأجدادهم، ويقدمون لهم الصلاة ويشكرونهم على حمايتهم لهم، لأنهم يعتقدون أن هذه الآلهة لها قوة خارقة، لأنهم لا يعتقدون بالبعث بعد الموت ويعتقدون أن هذه الأرواح تنتقل إلى كائنات أخرى سواء إنسان أو حيوان أو جمادات، وإذا مات هذا الإنسان أو الحيوان تنتقل إلى كائن ثالث وهكذا وهي تعيش حياة أخرى لها تأثير حاضر على الأحياء، كذلك من اعتقادهم أن الأحداث والشرور التي تأتي عليهم إنما هي جزاء أعمالهم ولا ينسبونها لله ولا للإله إنما ينسبونها لأنفسهم.

ولقد رأيناهم في جنوب مالي يعيشون في الكهوف والهضاب في جبال تسمى (الهمبرا) شبه عراة لأن الغرب الإفريقي عندهم اعتقاد أن الجزء العلوي عند الرجل والمرأة ليس من الضروري تغطيته عند غير المتزوجين.

وكذلك عندهم آلهة من الطين يعتقدون أنها تحمي القرية، وعندما تجدب الأرض، يلبسون لباسًا ملونًا وموحدًا ويضعون على رؤوسهم ريش الطيور ويخرجون إلى آلهتهم ويرقصون لها رقصة تسمى برقصة (التام تام) طلبًا من الآلهة أن تأتي لهم بالمطر الغزير.

وقد حدثني بعض الإخوة الدعاة: أن أحيانًا حتى يزدادوا فتنة على فتنتهم تمطر السماء.

كذلك من اعتقاداتهم أنهم يؤمنون أن هناك الإله الجد الكبير يسيطر على الرعد والبرق والمطر وأنه خالق هذه الأرض وهي أمنا، ونحن أطفال هذا الأب والجد الكبير ونعيش في حجر أمنا الأرض، وهي التي تعطينا الطعام والغذاء، وأن الإله الأب الكبير هو الذي خلق كثيرًا من المخلوقات القوية التي هي أقوى منا ونحن نخافها ونهابها ونقدسها ونحبها مثل الشمس والقمر.

وعندهم أيضًا اعتقاد أن الأرواح تسكن في المياه وتسكن في الشجر والصخور وكما ذكرنا أنها لها تأثير وعلاقة في حياة الناس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أما طقوس الزواج عندهم؛ فعندما يتقدم الشاب لخطبة الفتاة، يأتي بطبق وخروف وديك أبيض ويأتي على الأسلاف (وهي أصنام وأوثان يعتقد أن الآباء والأجداد من الأسلاف يحلون فيها) فيسقونها الخمر ويذبحون لها الديك ثم يطلبون رأيهم في أمر هذا الزواج، بعد أن يرموا الديك بعد ذبحه، فإذا وقع الديك بعد ذبحه على الأرض ورفع رجليه إلى أعلى فهذا علامة على قبول ورضا الأسلاف بهذا الزواج، وإذا وقع على أحد جانبيه أو بطنه فهذا دليل على عدم رضا الأسلاف ويرفض الخطيب. فإذا تم قبول الزواج يأتي بالمهر وهو عبارة عن بقرة أو بقرتين أو أكثر حسب الاستطاعة ويتم الإعلان عن مراسم الزفاف ويقومون بالاحتفال أسبوعًا كاملاً يرقصون ويشربون الخمر ويذبحون الذبائح، ويحق للرجل أن يتزوج بعدد كثير من النساء دون حد معين، وعندما يولد لهم مولود إذا كان سليمًا ليس معاقًا، في اليوم السابع يقومون بمراسم تسميته وإعطائه اسمًا ويذبحون الذبائح ويشربون الخمر، وإذا كان الطفل معاقًا أو ولد بعيب خلقي أو به بعض التشوهات، يعتبرون أن هذا الطفل مسكون بأرواح شريرة، وأن هذا نذير شر وشؤم، وفي الغالب يقومون بالتخلص منه بقتله.

أما عادة الختان عندهم فيجمعون الأطفال في مكان واحد عراة ويأتون بآلة حادة مثل الساطور ويضعون فرج الطفل على حجر أملس ثم يضربونه ضربة واحدة يقطعون بها قطعة الجلد الأمامية ثم يقومون بالاحتفال والرقص.

وعند موت أحدهم يعلو البكاء والعويل والنحيب ثم يُستدعى كبير الكهنة عندهم ليتأكد من موته، ثم يدفن فتقوم الأرض بأكل اللحم والدم، أما النفس فتذوب في الهواء، وترجع الروح إلى بيته تتفقد أولاده قبل أن تحل في كائن آخر بعد ثلاثة أيام من دفنه، وبعد الوفاة بثلاثة أيام تذبح الذبائح ويقدم الطعام والشراب هكذا يعيش أصحاب الديانات الوثنية في غرب إفريقيا حالة من الجهل والتخبط حتى يومنا هذا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المد الشيعي
في غرب إفريقيا

لا شك أن غرب إفريقيا ينتشر فيه كثير من الجهل والشرك فهناك تجد مثلًا في بعض الدول في الغرب الإفريقي غالب سكانها من النصارى وتجد كثيرًا من الديانات الوثنية الشركية. فهناك كثير من عباد الأصنام والأوثان ينتشرون في البوادي والقرى في دولة توغو وسيراليون وغينيا بيساو ومالي وبوركينافاسو وساحل العاج، كذلك انتشار غلاة الصوفية كالتيجانية، وكذلك الأشعرية، فبسبب كثرة الجهل وانتشاره وقلة العلم وانزوائه، وانصراف كثير من الناس عن تعلم العلوم الشرعية، كان هذا سببًا من أسباب المد الشيعي في غرب إفريقيا، وهذا يتفاوت من دولة إلى أخرى وسنحاول إلقاء الضوء على هذه الظاهرة بحول الله وقوته.

*** تاريخ التواجد الشيعي في غرب إفريقيا:**

بدأ ظهور الفكر الشيعي في غرب إفريقيا مع بداية وفود بعض المهاجرين اللبنانيين، فقد هاجر عدد كبير من دولة لبنان في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي إلى دول غرب إفريقيا، وكان من بينهم المسلم السُني والنصراني والشيعي والدرزي وكانت غالب هذه الدول مستعمرات فرنسية، وانجليزية، وبرتغالية، وألمانية وكان هذا بعد الحرب العالمية الأولى فاستوطنوا في دولة السنغال، وغينيا كوناكري ومالي وبنين وغينيا بيساو والنيجر، وكان مع هذه الوفود التي هاجرت إلى هذه الدول تجار شيعيُّون شكلوا النواة الأولى للتواجد الشيعي في غرب إفريقيا.

قال تريز منصور: «ازداد نشاط الشيعة بعد تقلد بعض أبناء جالياتهم مناصب عليا في بعض البلدان في غرب إفريقيا، فوفروا للمتشيعين حماية قانونية وغطاء سياسيًا، وتُرجم الثقل الاقتصادي للجالية اللبنانية إلى ثقل سياسي بدخول بعض الأفراد ذوي الأصول اللبنانية إلى البرلمانات الوطنية على نحو ما حصل في غينيا بيساو، بينما وصل آخرون إلى منصب مستشار الرئيس كما في دولة غينيا بيساو وبوركينافاسو. يُضاف إلى ذلك الاتصالات الشخصية للعديد من رجال الأعمال اللبنانيين بكبار المسئولين ورجال الدولة بغية تأمين مصالحهم وحمايتها. وهي اتصالات تتم في معظمها على أسس فردية ومصالح شخصية[1] حتى إلى يومنا هذا، لقد رأيت كثيرًا من اللبنانيين يمتلكون المحال التجارية والشركات السياحية ولهم حاضنة مجتمعية كبيرة.

أما المرحلة الثانية من وجود الشيعة في غرب إفريقيا فكان في سنة ألف وتسعمائة وتسع وأربعين حتى سنة ألف وتسعمائة وتسع وسبعين قبل الثورة الخمينية وكان ذلك عبر البعثات الدبلوماسية الإيرانية، لأن في هذه الفترة ارتبطت كثير من دول غرب إفريقيا بإيران.

أما المرحلة الثالثة فكانت بعد الثورة الخمينية حيث أضحى مشروعًا شيعيًا عالميًا وهو تصدير ما أسموه بالثورة الإسلامية وهي تستهدف الإسلام السُني، ولقد لاقت قبولًا ووجد لها مناصرون ودعاة وحاضنة اجتماعية في بعض الدول.

أسباب انتشار التشيع في غرب إفريقيا:

استغل الشيعة انتشار الجهل والفقر والعوذ في غرب إفريقيا وبدأوا في نشر عقيدتهم الفاسدة بين أوساط طلاب المدارس والجامعات الذين لا يدرسون في الغالب دراسة شرعية فهم قليلو المعرفة بالإسلام وتاريخه وعقائده، وكذلك

(١) «اللبنانيون في إفريقيا» مقال من موقع مجلة الجيش - بيروت - لبنان العدد ٣١١ مايو ٢٠١١م الموقع الرسمي للجيش اللبناني بقلم - تريز منصور.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

استغلال الطرق الصوفية وشراء ذمم دعاتهم بالمال والجاه واستعمال التقية وحب آل البيت، حتى أن بعض طلبة العلم قال لي: إننا في بداية تمسكنا بالسُنة والالتزام كان السبب دعاة الشيعة، حيث إنهم دعونا إلى حب آل البيت، وهكذا ثم اكتشفنا بعد ذلك أنهم ليسوا على السنة بعد أن سمعناهم يسبون بعض أصحاب النبي ﷺ ويطعنون فيهم كأبي بكر وعمر وعثمان فانصرفنا عنهم وبدأنا نحاربهم ونبين عقيدتهم لعوام الناس.

وهذه بعض الأسباب التي أدت إلى انتشار الفكر الشيعي في بعض دول غرب إفريقيا:

(١) الدور التقليدي للمؤسسات الدينية الرسمية التي لا تهتم بمحاربة البدع وتأخر هذه المؤسسات عن مواكبة التقدم العلمي والاجتماعي، وعدم وجود حس فكري ودعوي والاقتصار على حفظ المتون وشرحها وقصروا مجهودهم العلمي على تعلم الفقه المالكي والانتصار له، فأصبح تأثيرهم ضعيفًا خاصة أنهم لهم تأثير كبير في حياة العامة. وفي المقابل عدم دعم التوجه السُني المعتدل، وضعف الدور الذي تقوم به المؤسسات الدعوية السنية.

(٢) ممارسة الغرب ضغوطًا على دول غرب إفريقيا لفتح أبوابها أمام المد الشيعي ليكون بديلًا للإسلام السُني وعرقلة النشاط الدعوي السُني بذريعة محاربة الإرهاب.

(٣) الصراع المحتدم والتراشق والتلاسن والتقاطع بين الفصيل السلفي الواحد والدعم المعنوي والمادي للسلفية المدخلية والرسلانية وانتشار كتب سعيد رسلان ومحمد المدخلي وزيد وربيع بن هادي وهذا ما عمت به البلوى.

(٤) عدم اهتمام الحكام بالدين وفصل الدين عن الدولة واتخاذ الحكام المسلمين منهم بطانة من الدجالين لتضليل العامة.

(٥) انتشار الجهل وقلة العلم بين الطرق الصوفية مما جعل هناك تقارب شديد بين الصوفية والشيعة حتى إنهم يخرجون في تجمعات حاشدة باسم المولد النبوي، ويرفعون لافتات تحمل صورًا لرموز الشيعة وشيوخ الصوفية لإيهام العامة من الناس وشراء ذمم رؤوس الصوفية ودعاتهم بالمال والهدايا.

(٦) فتح مدارس وجامعات شيعية في أماكن تواجد السنة وبناء مساجد ومستشفيات بدعم مالي كبير وتنافس غير شريف لزرع الفتنة حتى أنك ترى في المدينة الواحدة مدارس سُنية وهي الأقدم ومدارس شيعية وأدى ذلك إلى التناحر والفرقة، حتى أنك تجد في العائلة الواحدة السُني والشيعي.

(٧) تجاهل المؤسسات والحكومات عن عمد الخطر الشيعي الرافضي والتركيز على ما يسمى بالتطرف والإرهاب، مع أن أهل السُنة في غرب إفريقيا دعوتهم دعوة سلمية علنية علمية.

(٨) تحريض الحكومة الإيرانية الحكومات الإفريقية على مؤسسات أهل السُنة فتتهمها بالتشدد والتطرف.

(٩) إزكاء نار الفتنة بين السُنة والشيعة وإرسال أسلحة إلى غرب إفريقيا للتأثير على الأمن الإفريقي والذي سيؤثر سلبًا على المد السُني ويساعد على التشيع، فقد نشر موقع قناة العربية تحقيقًا فحواه «ففي شهر أكتوبر سنة ألفين وعشر ميلادية استطاعت السلطات النيجيرية رصد وضبط ثلاث عشرة حاوية شحن تحتوي على أسلحة، بما في ذلك راجمات صواريخ مدفعية ١٠٧ ملم، ورصاصات بنادق، والعديد من الأسلحة الخفيفة الأخرى، وكانت الحاوية مكتوبًا عليها من الخارج «موارد بناء» وطبقًا للتحقيق الذي أجرته السلطات النيجيرية بعد ذلك، فإن الشاحنة جاءت من إيران، وكانت في طريقها إلى دولة غامبيا وردًا على هذا الاكتشاف

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قامت السلطات الغامبية في عام ألفين وعشرة بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع دولة إيران، وطردت الدبلوماسيين الإيرانيين من البلاد[1].

وفي فبراير سنة ألفين وإحدى عشرة قال: وزير الخارجية النيجيري «أودين أجوموجوبيا»: «إن حكومته أبلغت مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بضبط شحنة أسلحة غير مشروعة قادمة من إيران، اعترضتها أجهزتها الأمنية في الشهر الماضي ... واستجوب محققون نيجيريون أحد الإيرانيين الذي لجأ إلى السفارة الإيرانية في عاصمة نيجيريا فيما يتعلق بشحنة الأسلحة، فقاموا باستجواب أحد المتورطين، وتبين أنهم أعضاء في «وحدة القدس» التابعة للحرس الثوري الإيراني والمتخصصة في العمليات الخارجية»[2].

كذلك مد الانفصاليين في دولة السنغال بالسلاح المتطور والذخيرة حتى أصدر الرئيس السنغالي بيانًا قال فيه: «إن السنغال تشعر بالغضب من أن الرصاصات الإيرانية استخدمت لقتل ثلاثة من الجنود السنغاليين كل ذلك وغيره الغرض منه تحقيق مصالح سياسية واستراتيجية للدولة الصفوية.

*** طرق ووسائل نشر التشيع في غرب إفريقيا:**

والتي منها:

- بناء مدارس وجامعات في غرب إفريقيا ودعمها دعمًا ماديًا قويًّا وبناء المراكز والمستشفيات.

---

(١) وقال لي بعض طلبة العلم: وكان في هذا التوقيت يقوم الشيعة ببناء مدرسة شيعية في دولة غامبيا، فقام الإخوة المشايخ بالذهاب إلى وزير الأوقاف وأبلغوه وبينوا له خطر الشيعة على البلاد وطلبوا منه إبلاغ رئيس الدولة بهذه المدرسة وأنها مؤسسة شيعية وتهدف إلى نشر التشيع فأصدر قرارًا بإغلاقها وطرد من قام ببنائها من البلاد.

(٢) موقع قناة العربية، نشر بتاريخ ١٠ دو الحجة ١٤٣١ هـ.

- تكوين أحزاب شيعية سياسية على غرار حزب الله في لبنان والأحزاب العراقية واليمنية والبحرينية والكويتية بهدف إيجاد قواعد محلية موالية لإيران باعتبارها المرجع الوحيد للشيعة.
- تدريب وتسليح أتباعهم وهذا يهدف إلى زعزعة الأمن وإزكاء نار الفتنة.
- تقوية نفوذهم الاقتصادي وذلك من خلال استثمارات مالية كبيرة جدًا.
- عمل مؤتمرات دورية للرجال والنساء ويجري فيها مسابقات ومحاضرات وتوزيع لجوائز وهدايا هادفة لنشر التشيع.
- شراء ذمم غلاة الصوفية بالهدايا وزيارتهم في مناسبة المولد النبوي وحضورهم الاحتفال بمولد أحمد التيجاني زعيم الصوفية التيجانية.
- استغلال الشيعة لمسألة استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنه، وحب آل البيت ذريعة للوصول إلى أهدافهم وأغراضهم، كذلك يتخذون قضية المحتل اليهودي لفلسطين وعدائهم الظاهري لأمريكا أسلوبًا لغسل أدمغة وأفكار الشباب.
- تضييق الخناق على المؤسسات السُنية والعمل الخيري الخارجي حتى يساهم في إخلاء الساحة لعمل المؤسسات الشيعية.
- نشر كتب ورسائل شيعية مترجمة إلى لهجات محلية (كالهوسا).
- عمل دروس بالمساجد تدرس فيها كتب الشيعة.
- العمل على إرسال بعثات تعليمية إلى إيران.
- تقديم المنح الدراسية للشباب للدراسة في معاهد وجامعات إيران الهدف منها تخريج طلبة يحملون العقيدة الشيعية.
- إرسال بعثات في موسم الحج لنشر التشيع بين الجاليات الإفريقية الغربية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- عمل مسابقات وأمسيات شعرية لشعراء وكُتاب شيعة وتوزيع الجوائز العينية التي تحث على التشيع.
- الاهتمام بشئون إيران وأخبارها وتغطية أخبارها في التلفزة.
- تلميع وتوثيق رموز الشيعة وتمجيدهم.
- تواجدهم في وسائل الإعلام المحلية المرئية والمسموعة ونشر كثير من المقالات الأسبوعية في الجرائد الرسمية وغير الرسمية.

*** طرق وسُبل التصدي للمد الشيعي في الغرب الإفريقي:**

لا شك أن الدول السُنية العربية كمصر والسعودية وقطر وغيرها من دول العالم الإسلامي المهتمة بأحوال المسلمين، لها حضور قوي وفعال في غرب إفريقيا سواء على مستوى المؤسسات الدولية والبعثات التعليمية كدور الأزهر الشريف أو جامعة الإمام ابن سعود أو على مستوى الجمعيات الأهلية أو الأعمال الفردية، حيث تمول المشاريع في بناء الجامعات والكليات التي تنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة المبنية على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ولقد رأيت كثيرًا من المؤسسات التعليمية الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعية التي تضم كثيرًا من الدكاترة والأساتذة الموفدين من جامعة الأزهر وجامعة الإمام ابن سعود، وكذلك الجمعيات والمراكز والهيئات التي تعمل على دعوة النصارى وعُبَّاد الأوثان إلى الإسلام والتي تبني المساجد والمعاهد ودور الأيتام والمشافي وتحفر الآبار ومساعدة الفقراء وتوزيع الأطعمة والملابس على الفقراء والمحتاجين وهذا جهد طيب وسعي مشكور لا يُنكره إلا جاحد أو حاقد.

إلا أن الدول الراعية لنشر التشيع في غرب إفريقيا تُنفق أضعاف ذلك بكثير وهذا المد الشيعي في حاجة إلى العمل على إيقافه أو الحد منه وذلك من خلال وضع

خطط مدروسة بعناية شديدة، لأن الشيعة الرافضة تسير وفق خطط مدروسة ومدعومة من إيران وبعض الحكومات الإفريقية وهذه بعض السبل والطرق التي يمكن من خلالها مجابهة المد الشيعي.

- **والتي منها**: تكوين وتأسيس جمعيات وهيئات إفريقية تقوم عليها أفراد واعية ومقتدرة تدرس الواقع دراسة جيدة، وتشرف على الدعاة والذين يقومون بالأعمال الخيرية وتعد لهم البرامج والخطط المناسبة والفعالة لتنفيذها على أرض الواقع في المدن والقرى والبوادي وما يناسب كل بيئة منها.
- **ومنها**: توحيد الجهود العلمية والدعوية لمجابهة هذا المد الشيعي وذلك من خلال العمل الجماعي المنظم، فكما قال بعض الفضلاء: «لن تقوم قائمة لهذا الدين حتى يحمله جماعة من البشر يؤمنون به إيمانًا كاملًا، ويستقيمون عليه، ويعملون جاهدين لتحقيقه في نفوس الآخرين.
- **ومنها**: عمل مؤتمرات ومخيمات دعوية وقوافل دعوية مدروسة ومنظمة.
- **ومنها**: تقوية البعثات الدبلوماسية والمراكز الثقافية التابعة لها والعمل على الاهتمام بالدعوة الإسلامية ونشر العقيدة الصحيحة وتعليم اللغة العربية وعمل دورات دورية لتعليم اللغة العربية وتدريس الخط العربي.
- **ومنها**: التواصل مع الدعاة والعلماء في العالم الإسلامي والاستفادة من تجاربهم الدعوية فالإنسان يبدأ من حيث انتهى الآخرون.
- **ومنها**: الاهتمام بالجانب الإعلامي لإيصال الإسلام الصحيح، والعمل على إيضاح فساد عقائد الشيعة والتواصل مع الجمهور باللهجات المحلية، وإصدار الصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية واليومية الهادفة والموجهة.
- **ومنها**: تكوين الدعاة تكوينًا جيدًا حتى يكون لهم ثقل علمي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- **ومنها:** إيجاد مصادر لتوفير المال سواء الخارجي أو الداخلي للإنفاق على الدعاة وتفريغهم للدعوة، لأن غالب الدعاة فقراء وشبه معدومين حتى أن بعضهم يعمل بعض الأيام في الأسبوع ويتفرغ البعض الآخر للدعوة.
- **ومنها:** وهو المهم جدًا متابعة المراكز الشيعية والنظر فيمن تشيع من أفراد وحصرهم ومعرفة عددهم وأماكن تواجدهم ثم بعد ذلك القيام على دعوتهم إلى حظيرة أهل السُنة، وذلك بتذكيرهم بمنهج أهل السنة والجماعة، كما حدث مؤخرًا في دولة السنغال في «جامعة المصطفى» حيث اكتشف طلاب الجامعة أنهم تم التغرير بهم وأن هدف الجامعة هو تشيعهم وليس تعليمهم، فانسحب قرابة نصف الطلاب وعادوا إلى بلدانهم لما اكتشفوا الحقيقة.
- **ومنها:** الاهتمام بدور المرأة الداعية المصلحة تجاه هذه القضية وتوعيتها من خطر التشيع، ودفعها دعويًا إلى الاهتمام ببنات جيلها وتوعيتهم من خطر التشيع، لأن المرأة تشكل نصف المجتمع وتلد النصف الآخر.
- **ومنها:** التواصل مع مؤسسات الدولة وحكوماتها وتعريفهم بخطر الشيعة من خلال المسئولين المعنيين بوزارة الشؤون الدينية إن وجد خاصة في الدول التي حكوماتها مسلمة .. بهذه السُبل والطرق يمكن من خلالها العمل على الحد من خطر وتمدد المد الشيعي في الغرب الإفريقي.

القاديانية
في غرب إفريقيا

إن الاستعمار في اصطلاح البعض قد يكون محصورًا في حركة احتلال الغرب لبعض الدول، بل إن هناك روافد أخرى تلبس لبوس الإسلام وتقوم بما يقوم به المحتل الغربي لدول الإسلام، ومن هذه الروافد الخبيثة (القاديانية)، فقد استغلت القاديانية مظلة الإسلام بدهاء ومكر منذ مطلع هذا القرن لتصول وتجول في دول غرب إفريقيا وتنشر فيها العقائد الفاسدة، والقاديانية من أخطر النحل التي انتشرت في غرب إفريقيا متلفعة بثوب الإسلام، منتحلة لاسم (الطائفة الأحمدية)، لقد نشأت القاديانية على يد ميرزا غلام أحمد، رجل هندي صدع بعقائد منحرفة، وحظي في نشرها برعاية الاستعمار البريطاني وتشجيعه، فكان تعطيل الجهاد وموالاة الاستعمار من أهم مرتكزات هذه النحلة، يقول الميرزا غلام في كتابه (ترياق القلوب): «لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها. وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر الانجليز (...) قد ألفت (كثيرًا) من الكتب والإعلانات والنشرات، وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية وتركيا، وكان هدفي دائمًا أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة» وفي كتابه: «تبليغ الإسلام» يقول الميرزا: «لقد ظللت منذ حداثة سني - وقد ناهزت الستين - أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها (...) وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين وأحدثت تحولًا في مئات الآلاف منهم»، وفي رسالة له يقول: «ولا يخفى على هذه الدولة المباركة (بريطانيا) أننا من خدامها ونصاحها ودواعي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خيرها من قديم، وجئناها في كل وقت بقلب حميم. وكان لأبي عندها زلفى (...) سبقنا في كل خدمة مع السابقين»[1].

تلك الألفة الحميمة بين القاديانية والاستعمار البريطاني مهدت لهذه النحلة الجديدة طريقها في غرب إفريقيا، لتكون عونًا في تدعيم أركان الإدارة الاستعمارية. فكما أقبلت النصرانية إلى نيجيريا بصحبة الاستعمار، فكذلك دخلتها القاديانية. ففي عشرينيات القرن الماضي، «وصل من إنجلترا إلى نيجيريا عضو الطائفة الأحمدية القاديانية مولوي عبد الرحيم نيار، فكان أمرًا عظيمًا حينذاك حيث ينزل سالمًا ضيفًا على الحكومة الانجليزية بالشرف والكرامة»[2].

ومن المستعمرات البريطانية، تسللت القاديانية إلى بقية البلاد الإفريقية، وكان لها حضور قوي في دولة بوركينافاسو، وفي الخمسينيات كانت أعداد القاديانيين في دولة غانا تقدر بخمسة وعشرين ألف شخص، وكان لهم سنة ألف وتسعمائة وأربع وخمسين نائبان في البرلمان بدولة غانا، ووزراء، وكانت أعدادهم في دولة سيراليون تقدر بنحو ثلاثة آلاف، وفي دولة نيجيريا بنحو سبعة آلاف شخص[3].

وقد استفادت القاديانية في دعوتها من انتشار الجهل في غرب إفريقيا، ووظفت أموالًا طائلة ووسائل بالغة التأثير.

فلها صحيفة اسمها الحقيقة، بالإضافة إلى أربع مجلات أخرى، وفتحوا سبعًا وأربعين مدرسة، ومئتين وستين مسجدًا، ومكتبات ومستشفيات ومراكز اجتماعية كثيرة[4].

(١) القاديانية والاستعمار الانجليزي (ص: ٢٦ – ٢٧) لعبد الله سلوم السامرائي.
(٢) إفريقيا المسلمة (ص: ١٣٣) للخليل النحوي، بتصرف بسيط.
(٣) المصدر السابق، (ص: ١٣٤).
(٤) القاديانية (ص: ١٥) لإحسان إلا هي ظهير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكان من خططهم أن نشروا أول ترجمة للقرآن سنة ألف وتسعمائة وثلاث وخمسين باللغة السواحيلية وهي لغة محلية واسعة الانتشار في غرب إفريقيا، سوّقوها بسعر رمزي، وأفصحوا عن خبث نواياهم حين نشروا في غرب إفريقيا المتفرنسة مصاحف مكتوبة بالحرف اللاتيني وعليها تعليقات بالفرنسية[1].

هكذا وجد الاستعمار في القاديانية، ووجدت الصهيونية في البهائية أداتين طيعتين لتحقيق مآربهما في القارة الإفريقية، فالقاديانية بتعطيلها الجهاد وإنكارها بعض مسلمات العقيدة وما تشيع بين المسلمين من عقائد منحرفة، والبهائية بدعوتها المضللة إلى توحيد الأديان، إنما تشكلان معولين من معاول الهدم والتخريب التي تعبث بالإسلام عقيدة وشريعة.

(١) إفريقيا المسلمة (ص: ١٣٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطرق الصوفية
في غرب إفريقيا

دخل التصوف إلى غرب إفريقيا في القرن الخامس عشر الميلادي من دولة المغرب العربي بعد سقوط دولة المرابطين وتوغل في غرب إفريقيا عبر دولة موريتانيا فهي أول دولة في غرب إفريقيا من جهة شمال إفريقيا وتُطل على خمس عشرة دولة في الغرب الإفريقي، وفي الحقيقة كان من العوامل الرئيسية التي انتشر بها الإسلام في بقاع غرب إفريقيا حتى إلى اليوم الطرق الصوفية وهذا للأمانة العلمية، والطرق الصوفية بالنسبة للغرب الإفريقي رابطة روحية قوية، وكذلك كان لهم دورٌ عظيم في نضال المحتل الغربي، والصوفية في الغرب الإفريقي لها ألوان وأشكال، ففيهم العلماء والجهلاء والمفكرون والسذج والبسطاء.

وهم يتوزعون في انتمائهم إلى أربع طرق صوفية رئيسية وهي: التيجانية، والقادرية، والموريدية، واللاينية حتى أنك تجد أغلب المدارس الأهلية ينتمون إلى أحد الطرق الصوفية، وهم يعتقدون أن الأوراد والأذكار التي يلتزمون بها لها دورٌ كبير في استجابة دعواتهم.

وغالب المنتمين إلى الطرق الصوفية على المذهب الأشعري من الناحية العقدية، وعلى المذهب المالكي كفروع العبادة وعلى الطرق الصوفية كمنهج.

ويُعتبر معقل الطرق الصوفية في غرب إفريقيا في دولة السنغال، حيث كان لها دورٌ كبير في نقل الصوفية في الأربع عشرة دولة، حتى أن الصوفية في دولة السنغال كما سيأتي تتحكم في كل صغيرة وكبيرة بالمجتمع، فهي تتصدر المشهد السياسي، والثقافي حتى الاجتماعي، حتى أنك لا تكاد تجد شخصًا إلا ويعتنق طريقة من الطرق الصوفية، وهذا من أعظم التحديات والمعوقات التي رأيتها والتي تقف حجر عثرة في طريق الدعوة والتمدد للدعوة السلفية العلمية.

*** الصوفية في دولة موريتانيا:**

تعتبر مدارس الصوفية في دولة موريتانيا هي حلقة الوصل بين مدارس الصوفية في المغرب العربي وغرب إفريقيا، وتعتبر الصوفية هي البنية المجتمعية والثقافية والسياسية في المجتمع الموريتاني، حيث تتجذر أصولها من دولة المغرب، وتعتبر الطريقة التيجانية أحد أبرز وأكثر الطرق الصوفية في موريتانيا، وتعتبر الطريقة القادرية والبكائية، ويعتبر عبد الكريم المغيلي المتوفي سنة ألف وخمسمائة واثنتين وثلاثين ميلادية شيخ الطريقة البكائية التي أوصلت الطريقة إلى منطقة حوض دولة السنغال في القرن الخامس عشر الميلادي.

كذلك الطريقة المريدية وهي لها حضور على الساحة الموريتانية وترجع نشأتها إلى القرن التاسع عشر على يد السنغالي أحمدو بمبا، كذلك الطريقة النقشبندية والصدفية والغظفية، وهذه الطرق كلها لها محافل واجتماعات ودعم من الدولة، حتى إنه كان وزير الشئون الإسلامية بالدولة سابقًا من أهم رموز الصوفية في البلاد وله مؤسسة تعليمية خاصة يدرس هو فيها بعض العلوم الشرعية[1].

*** الصوفية في دولة السنغال:**

تعتبر دولة السنغال معقل النفوذ الصوفي في غرب إفريقيا، وهي تلعب دورًا محوريًا للمدارس الصوفية في الغرب الإفريقي، حيث إنك تجد لهم حضورًا سياسيًا في البلاد، حتى إن الأنظمة التي حكمت البلاد تحرص على إشراك الصوفية ورجالاتها في الشأن السياسي، حتى أن الرئيس السابق عبد الله واد لجأ في مناسبات عديدة إلى إيهام الرأي العام السنغالي بوجود اصطفاف صوفي خلفه، وذلك لكسب تعاطف أصوات السنغاليين في الانتخابات، وتعتبر الطريقة التيجانية الأكثر حضورًا بالسنغال، وهي بمثابة الإمبراطورية السياسية والاقتصادية، وتشكل الصوفية تسعة

(١) التصوف المغاربي (ص: ٤٥) محمد خريف.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتسعين بالمائة من مسلمي السنغال التي تصل نسبتهم إلى ستة وتسعين من إجمالي عدد السكان[1]، حيث توجد لهم حاضنة اجتماعية كبيرة، حتى إنني عندما كنت أمر بشوارع السنغال، كنت أرى صور مشايخ الصوفية معلقة على جدران الشوارع وفي الأماكن العامة. وفي المحلات التجارية، فالدعوة السلفية العلمية تعاني معناه شديدة وتجد مواجهات شرسة من الصوفية وقد حدثني بعض المشايخ أن الدكتور أحمد محمد لوح شيخ الدعوة السلفية العلمية بالسنغال، أنه قد تعرض لمحاولة اغتيال وتصفية من الصوفية بسبب تأليفه لكتاب «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» وكنا نجد نحن الأجانب صعوبة شديدة في إلقاء الندوات والمحاضرات بالمساجد.

*** الصوفية في دولة غامبيا:**

والطرق الصوفية تواجدها ليس بالقوى في دولة غامبيا نظرًا لأمرين: الأمر الأول: انتشار الدعوة السلفية العلمية في ربوع الدولة حيث تعتبر غامبيا من أنشط دول غرب إفريقيا دعويًا. والأمر الثاني: صغر حجم الدولة من ناحية المساحة والعدد فهي أصغر دولة في غرب إفريقيا، فهي تعتبر لسانًا في دولة السنغال، ويوجد بها بعض الطرق الصوفية كالتيجانية والقادرية ولكن نشاطها محدود نظرًا للأمرين السابقين.

*** الصوفية في دولة غينيا كوناكري:**

تسيطر الطرق الصوفية على كثير من البلدان في غينيا كوناكري خاصة الطرق التيجانية، وكان من أهم الأسباب في انتشارها توفير مؤسسات الدولة لها الحماية والحرية المطلقة في أداء المشاعر منذ الاستقلال عن المحتل الغربي إلى اليوم، حتى إنك تجد خمسة وثمانين بالمائة من مساجد غينيا كوناكري تؤدي فيها الأوراد التيجانية، ولولا الله عز وجل ثم التواجد الدعوي السلفي والذي له تواجد قوى

(١) نفوذ الطرق الصوفية (ص: ٧٥) إبراهيم مصطفى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هناك والذي يستمد تواجده من عوامل متعددة كتأثر البعض في رحلات الحج والبعثات، وطلبة العلم الذين يتوافدون على بلاد شنقيط لتعلم العلوم الشرعية لسيطر التواجد الصوفي على غالب البلاد.

*** الصوفية في دولة غينيا بيساو:**

تتواجد الصوفية في دولة غينيا بيساو بشكل ليس بالقوى والتواجد الشيعي موجود بقوة ويعمل على تشيع قطاعات كبيرة من المسلمين مستغلًا الاهتمام بآل البيت ويتخذ هذه ذريعة لجذب الصوفية التيجانية والقادرية إليها.

*** الصوفية في دولة سيراليون:**

سيراليون دولة صغيرة، يُشكل المسلمون فيها ما يقرب من خمسين بالمائة، وتنتشر الصوفية خاصة الطريقة القادرية خصوصًا في العاصمة وفي مدينة كينيما، حتى إن القادرية لها ثماني مدارس بالعاصمة.

*** الصوفية في دولة ساحل العاج:**

المسلمون في دولة ساحل العاج يُشكلون سبعون بالمائة من سكان ساحل العاج، ويوجد تواجد للطرق الصوفية ولكن ليس بالقوي، والطرق الصوفية الموجودة هناك لها بعض الأنشطة للطريقة التيجانية والطريقة القادرية والطريقة الأحمدية.

*** الصوفية في دولة ليبيريا:**

المسلمون في دولة ليبيريا يشكلون عشرين في المائة من عدد السكان، ولله الحمد والمنة أن الغالبية العظمى من المسلمين من أهل السُنة والجماعة، وهناك حضور للطرق الصوفية كالتيجانية، وسبب تواجد الطريقة التيجانية هناك أن دولة السنغال كان لها دورٌ كبير وفعال في نشر الإسلام الصوفي هناك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

*** الصوفية في دولة بنين:**

يشكل المسلمون في دولة بنين ما يقرب من أربعة وعشرين بالمائة من إجمالي سكان الدولة، وتنتشر الصوفية بين أوساط المسلمين، وتتصدر الطريقة الأحمدية المقام الأول، حتى أن لهم مسجدًا كبيرًا في العاصمة وهو مسجد الأحمدية، وهم القائمون عليه، وتمارس فيه المحاضرات والدروس والأوراد الصوفية الأحمدية.

*** الصوفية في دولة غانا:**

لله الحمد والمنة أن أغلبية المسلمين في دولة غانا من أهل السُنة والجماعة ويتبعون المذهب المالكي تأثرًا بدول المغرب العربي، والطرق الصوفية ليس لها حضور قوى هناك، فهي تنتشر انتشارًا بسيطًا لا يُقارن بأهل السنة الذين هم على المنهج الصحيح القويم، ومن الطرق الصوفية التي لها تواجد هناك الطريقة التيجانية والطريقة الأحمدية والطريقة القادرية.

*** الصوفية في دولة نيجيريا:**

يوجد في دولة نيجيريا اليوم طريقتان صوفيتان رئيسيتان وهما: الطريقة القادرية، والطريقة التيجانية، وغيرها من الطرق المتفرعة منهما، ولهم كثير من المساجد والمدارس والمحاضر.

*** الصوفية في دولة الرأس الأخضر:**

يعتبر المسلمون في دولة الرأس الأخضر أقلية، ورغم أنهم أقلية قليلة، إلا أنهم تنتشر فيهم الطرق الصوفية بشكل واضح وقوي، ويرجع السبب الأول في انتشار الصوفية هناك إلى دولة السنغال ودولة غامبيا، لأن الإسلام وصل إلى دولة الرأس الأخضر عن طريق دولة السنغال ودولة غامبيا، لأن السنغال هي معقل الطرق الصوفية التيجانية.

*** الصوفية في دولة بوركينا فاسو:**

دولة بوركينا فاسو أيضًا تنتشر بها الطرق الصوفية فهناك ما يقرب من مليون صوفي يتبعون الطرق الصوفية القادرية يلتزمون جميعهم بمبادئ وتقاليد الطريقة القادرية.

*** الصوفية في دولة مالي:**

لا شك أن عدد المسلمين في دولة مالي هم الأغلبية، حتى إنها كانت بها مملكة إسلامية عظيمة، والطرق الصوفية تنتشر فيها بشكل كبير خاصة الطريقة التيجانية والطريقة القادرية والطريقة العروسية، وهناك صراع محتدم ومواجهات بين الصوفية وبين جماعة التوحيد والجهاد، حتى أن جماعة التوحيد والجهاد تقوم بهدم الأضرحة بشكل علني في غالب أركان الدولة، ثم تقوم المؤسسات الصوفية بدعم من الدولة ببناء هذه الأضرحة مجددًا، ولا شك أن هذا الصراع يُحدث مفاسد عظيمة وعواقب وخيمة على الدعوة.

*** الصوفية في دولة توغو:**

تنتشر الطرق الصوفية في كثير من الأماكن التي ليس بها وعي ثقافي خاصة الطريقة التيجانية حيث إن مقرهم الرئيس في مدينتي سكودي وبافيلو وتنتشر التيجانية في القرى والبوادي.

*** الصوفية في دولة النيجر:**

الطرق الصوفية في دولة النيجر بشكل عام تنتشر بشكل قوي ولها نشاط كبير، حيث إن لهم كثيرًا من المدارس والمحاضر خاصة الطريقة التيجانية والطريقة المرغنية والطريقة القادرية.

هكذا تنتشر الطرق الصوفية بشكل كبير في دول غرب إفريقيا، وهي في الحقيقة من أهم التحديات التي تعوق مسيرة العمل الدعوي السلفي في الغرب الإفريقي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المرأة
في غرب إفريقيا

لا شك أن المرأة تُشكل نصف المجتمع، وتلدُ النصف الآخر، فهي بذلك المجتمع كله. ولقد أخبر ﷺ وأشار إلى ذلك حيث قال: «النساء شقائق الرجال» والمرأة مطالبة بما يُطالب به الرجل في الغالب من التكاليف الشرعية، والمرأة لها دورٌ عظيم تجاه دينها من تعلم العلم الشرعي والفقه في الدين، والدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة غيرها من النساء الشاردات إلى الرجوع إلى دين الله عَزَّوَجَلَّ. وإلى طاعة الله تعالى.

والمرأة في أول دولة من دول غرب إفريقيا وهي موريتانيا[1] يغلب عليها الصلاح؛ فهي محجّبة بحجاب الله متسترة، لا تخالط ولا تصافح الرجال، ويغلب عليها الاهتمام بالدين علمًا وعملًا، وهي تعظم شعائر الله تعظيمًا عجيبًا، والمرأة في بلاد شنقيط لم يكن لها دورٌ يُذكر في تعلم العلوم الشرعية ونشرها قبل قيام دولة المرابطين في القرن الرابع الهجري، فعندما قسم أبو بكر بن عمر أفراد الدولة إلى صناع وحرفيين وزراعيين، ورعاة للغنم والإبل والبقر، ومجاهدين، وعلماء وطلبة علم وهم الذين كانوا يتسمون بأصحاب (الزويا)[2].

(١) **موريتانيا**: هي بلاد شنقيط وهي دولة عربية وهي أول دول غرب إفريقيا من ناحية شمال إفريقيا، وشعبها يتكون من عرب وبربر وزنوج كونوا شعبًا.

(٢) **الزويا**: هم في اصطلاح الموريتانيين: مجموعة القبائل المهتمة بالعلم والدين، ويمتازون بدراسة العلوم الشرعية، واللغة العربية، وإقامة شعائر الدين الإسلامي، ورغم شظف العيش، وقساوة الحياة البدوية الصحراوية، فقد ظلوا محافظين على تعلم العلوم الإسلامية وتعليمها، وإقامة الشعائر الدينية، ولم يُثنهم عن ذلك صعوبة الترحال ولا تنائي الديار، ويمتاز أهل الزويا بشيم نابعة كلها من صميم تعاليم الإسلام، وهي التقوى، والورع والعفة والحلم والصبر والأناة.
وسبب تسمية أهل الزويا بهذا الاسم: لملازمتهم للزوايا وهي جمع زاوية، ويسمون بالمرابطين لملازمتهم =

اقتصر تعلم القرآن وعلومه والعلوم الشرعية في البداية على نساء العلماء وطلبة العلم والفقهاء من أزواجهم وأمهاتهم وأخواتهم وبناتهم وجواريهم، ثم انتقل بعد ذلك إلى شرائح المجتمع من النساء الأخريات.

قال النحوي حفظه الله:

كان لبلاد شنقيط الحظ الوافر للاهتمام بالفتاة؛ فالفتاة تتعلم القرآن كما يتعلمه الطفل، وترتقي إلى المحضرة في حيها فتتلقى من المعارف ما يتلقى الطفل، إلا أن غالب شأن النساء يصرفن اهتمامًا زائدًا إلى دراسة السيرة النبوية الشريفة.

وكان لابد للمرأة من رصيد معرفي زكي، لأنها هي بحق مدرسة الطفل الأولى تلقنه أول دروسه، من تعليم الحروف الهجائية إلى تلقين القصص التاريخي، إلى تدريس القرآن، إلى تحفيظ المتون وتفسيرها، والقاعدة العامة هي أن وراء كل رجل عالم امرأة، مهدت له الطريق إلى الالتحاق بالمحضرة في مرحلتها المتوسطة أو العليا.

ولكن دور المرأة لا يقف عند هذا الحد، فمن الشنقيطيات نساء تصدرن للمشيخة المحضرية، فكنَّ يدرسن الطلبة والطالبات ما يدرس كبار المشايخ[1].

وذُكر أنّ العلامة محمد الأمين الجكني الشنقيطي، وكان من أبرز علماء الحجاز ونجده درس الأدب على زوجة خاله، وتلقى عنها الأجرومية، ودروسًا واسعة في أنساب العرب وأيامهم والسيرة النبوية، ونظم الغزوات لأحمد البدوي الشنقيطي ونظم عمود النسب في أنساب العرب[2].

= مواضع العبادة، التي هي الربط جمع رباط، وقد أطلق عبد الله بن ياسين هذا الاسم على أصحابه، ومن ثم أصبح علمًا على هذه القبائل، كما يُطلق عليهم اسم الطلبة لطلبهم العلم واشتغالهم به، ولقد قامت الزويا بدور عظيم في نشر العلوم الإسلامية، وتطوير الآداب والعلوم في الصحراء، وفي غرب إفريقيا. الشنقيطي ومنهجه (ص٩) لسميرة بنت صقر.

(١) بلاد شنقيط المنارة والرباط [ص: ٢٨٩] الخليل النحوي.

(٢) المصدر السابق [ص: ٢٨٩].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكذلك العلامة الخليل النحوي درس على والدته فاطمة بنت فتى وتلَّقَى عنها متون السيرة النبوية والأنساب[1].

والمرأة الشنقيطية تبدأ بإسماع طفلها القرآن والمتون وهي تُرضعه حتى تتعود أذناه على السماع والتلقي من الصغر، ثم تدفع ببناتها ليتعلمن القرآن وحفظه بطريقة الحفظ من اللوح الخشبي[2] مثل طريقة الحفظ عند الذكور، فتُتمّ حفظ كتاب الله قبل لحوقها بالدراسة العلمية بالمدارس العادية، وتحرص على تعلم العلوم الشرعية أثناء الدارسة، ولا تعارُض بين الاثنين.

ثم تتدرج في تعلم العلوم الشرعية. فمنهن كثيرات حافظات لكتاب الله برواية ورش وقالون، ومنهن كثيرات يحفظن آلافًا من المتون الشرعية وشروحها سواء في الفقه أم الأصول أم العقيدة، ومنهن حافظات لموطأ مالك كحفظ الرجل للفاتحة، ومنهن شاعرات يحفظن آلاف الأبيات من الشعر، ويُجدن اللغة العربية بطلاقة ورسوخ وكثير منهن عندهن محاضر لتحفيظ القرآن وعلومه، وتعليم العلوم الشرعية، وعندهن حرص عجيب على إقامة الشعائر، فكنت أمرُّ أحيانًا بالأسواق أثناء الأذان، فأجد حالة استنفار عجيب عند النساء التاجرات، فعندما يسمعن الأذان يتركن المحلات دون إغلاق ويذهبن لأماكن الوضوء ثم يذهبن إلى الصلاة في الأماكن المخصصة للصلاة بالأسواق، وعندهن محافظة عجيبة على الذكر والاستغفار، ويحرصن على عدم الاختلاط بالرجال، والمحافظة على السنة، أما بقية دول غرب إفريقيا فكان للمرأة نصيب في تعلم اللغة العربية والإسلام في القديم حتى عصرنا هذا، فقد تتلمذت كثير من النساء على يد علماء من أهل السُنة، وتخرجن عالمات، وتولين التدريس للنساء في شتى فنون الشريعة القرآن والتوحيد والفقه والحديث واللغة العربية، ولقد لعبت المرأة دورًا عظيمًا في دفع عجلة

(١) شنقيط المنارة والرباط [ص: ٢٨٩] الخليل النحوي.
(٢) راجع باب المحاضر الشنقيطية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الدراسات العربية الإسلامية وكذلك في مجال الأدب، في نظام التعليم الحكومي والمعاهد والمحاضر الخاصة.

وفرصة التخصص في التعليم الإسلامي العربي للفتيات متوفر في كل المراحل الدراسية بالنسبة للتعليم الحكومي في غالب دول غرب إفريقيا من روضة الأطفال والابتدائية مرورًا بالمرحلة الثانوية حتى مرحلة الجامعة، وفي المرحلة الجامعية يمكن للمرأة مواصلة الدراسات العليا حتى مرحلة الدكتوراه، ومع هذا ما زالت هناك تحديات كبيرة تعرقل مسيرة المرأة وخدمتها للإسلام بسبب الظروف الاقتصادية وتفشي الجهل والفقر وغيرها من التحديات.

هذا ما يسر الله جمعه عن هذا الجزء من القارة السمراء

نسأل الله أن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أهم المصادر والمراجع

- جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي - عثمان بريما باري.
- الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي - دكتور عمران.
- شعراء موريتانيا - محمد يوسف مقلد.
- وقفات على بلاد شنقيط - مسعد حسين محمد.
- إفريقيا المسلمة - الخليل النحوي.
- شنقيط المنارة والرباط - الخليل النحوي.
- تاريخ القضاء وكبريات النزاعات القضائية في مورتيانيا - محمد ولد الحسن.
- دعوة المرابطين في صحراء شنقيط - أحمد فال سيدي القلاوي.
- مقدمة ابن خلدون - ابن خلدون.
- القاديانية والاستعمار الانجليزي - عبد الله سلوم السامرائي.
- اللبنانيون في إفريقيا - لتيرز منصور.
- المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس - لابن أبي زرع الأنيسي.
- تاريخ شنقيط - لمحمد الأمين بن عمر يبني.
- الكامل - لابن الأثير.
- تاريخ المغرب والأندلس - لأحمد مختار العبادي.
- قيام دولة المرابطين - لحسن أحمد محمود.
- فتوح مصر وأخبارها - لابن عبد الحكم.

- العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي - لأنور الجندي.
- المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب - للبكري.
- تاريخ الخلفاء - للسيوطي.
- مخطوط - الشيخ سيدي محمد الكنتي.
- العرب في إفريقيا - لحلمي شعراوي.
- المسلمون في السنغال - عبد القادر سيلا.
- تطور الاستراتيجية الإسرائيلية - محمد النحال.
- السياسة الارتيرية في البحر الأحمر - منى أحمد إبراهيم.
- الإسلام اليوم وغدًا في نيجيريا - للألوري.
- التعليم الإسلامي في إفريقيا الواقع والتطلعات - خالد عبد اللطيف.
- فتح الشكور في أعيان بلاد التكرور - محمد بن أبي بكر.
- مفكرون وعلماء عرفتهم - محمد المجذوب.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج - أحمد بابا التمبكتي.
- الحضارة الإسلامية في النيجر - دكتور سليمان موسى.
- حقيقة التنصير بين الماضي والحاضر - مصطفى الخالدي.
- أجنحة المكر الثلاثة وقوافيها - عبد الرحمن حسن حبنكة.
- دراسة مخطوطة عن الافتراضات العربية - عبد الله بالدي.
- جريدة الصباح التونسية - العدد ١٧ جمادى ١٤١٠هـ - ١٤/ ١/ ١٩٩٠م.
- مجلة أم درمان - الإسلام واللغة العربية - العدد الثاني - ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م
- مجلة قراءات - العدد الخامس - جمادى ١٤٣١ هـ - يونيو ٢٠١٠م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقريظ الدكتور تشرنو إبراهيم باه	5
تقريظ الدكتور إبراهيم سيسي	7
مقدمة المؤلف	9
تمهيد	11
بوابة غرب إفريقيا	17
بداية دخول الإسلام غرب إفريقيا	25
دعوة العلماء الأفارقة في غرب إفريقيا	29
صور من الجهاد في غرب إفريقيا	33
اللغة العربية واللغات المحلية في غرب إفريقيا	45
معوقات التعليم العربي الإسلامي في غرب إفريقيا	60
الاستعراب والعرب في غرب إفريقيا	67
أسباب انتشار المذهب المالكي في غرب إفريقيا	71
العمل الخيري في غرب أفريقيا	73
بوابة ألا عودة وعصر النخاسة الكبير	77
الوجود الإسرائيلي في غرب إفريقيا	90
حملات التنصير في غرب إفريقيا	103

عبادة الأصنام والأوثان في غرب إفريقيا..... 114
المد الشيعي في غرب إفريقيا..... 119
القاديانية في غرب إفريقيا 128
الطرق الصوفية في غرب إفريقيا..... 131
المرأة في غرب إفريقيا 137
اهم المصادر والمراجع..... 141
فهرس الموضوعات..... 143